سلسلة بوابات الجحيم

جمعية قتل الرجال

الكتاب: جمعية قتل الرجال

المؤلف: منى حارس

تصميم الغلاف: عبدالرحمن الصواف

تدقيق لغوي: عبدالله عثمان

رقم الإيداع: 2020/20196

الترقيم الدولي: 978-977-778-245-6

الطبعة الأولى:2021

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

سلسلة بوابات الجحيم

جمعية قتل الرجال

رواية

منى حارس

ن للنشر والتوزيع

دار الكتب المصرية
بطاقة فهرسة أثناء النشر

حارس، منى
جمعية قتل الرجال: رواية/ منى حارس_ الجيزة: ن للنشر والتوزيع_ ٢٠٢٠
١٥٦ص- ١٣×٢٠ سم
تدمك: ٦-٢٤٥-٧٧٨-٩٧٧-٩٧٨
١_ القصص العربية
أ- العنوان
رقم الإيداع: ٢٠٢٠/٢٠١٩٦
التاريخ/ ١٠/١١/ ٢٠٢٠

-تحذير-

عزيزي الرجل يجب أن تعلم جيدا بأن ما كتب في تلك الرواية

لن يعجبك إطلاقا وربما أصابك بأزمة قلبية

فإن قررت أن تكمل القراءة وهذا القرار يرجع إليك وحدك، فلن يجبرك أحد على فعل شيء

فاعلم عزيزي الرجل بأنني قد حذرتك منذ البداية فلا تلم إلا نفسك في النهاية، وإن كنت مريض ضغط أو سكر أو قلب

فنصيحتي لك أن تتناول دواءك أولا

لأن ضغطك سيرتفع لا محالة وستستفزك بعض المشاهد الدموية بالرواية، فطريقة قتلنا وتعذيبنا للرجال في جمعية قتل الرجال جديدة وتختلف ولن تجدها في أي مكان أخر

ثق في...

د. منى حارس

(١)

محافظة القاهرة

١٣من يوليو الساعة الثالثة فجرا..

كان حفـل زفـاف كبـير في قاعـة فاخـرة ملحقـة بأحـد الفنـادق الكـبرى مـن فئـة النجـوم السـبع، كان الجميـع سـعداء يرقصـون ويغنـون يتمايلـون مـع الموسيقى الحالمـة، سـوف يتحدثـون عـن ذلـك الحفـل لأيـام عديـدة، إنتهـى العـرس في تمـام الثالثـة فجـرا، صعـد العروسـان إلى غرفتهـما الخاصـة، لقـد أهداهـا لهـم الفنـدق كهديـة قضـاء ثـلاث ليـال مجانيـة في إحـدى الأجنحـة الفاخـرة بالفنـدق الكبـير جنـاح شـهر العسـل.

صعـد العروسـان واسـتقلا المصعـد للـدور الخامـس عشر حيـث جناح العـروس بالفنـدق الشـهير، دخـلا الغرفـة وكان الفنـدق قـد قـام بتزينهـا عـلى الطريقـة الهنديـة فالكثـير مـن الـورود ورائحـة الياسـمين المنعـش عـلى الفـراش، دخـلا الغرفـة والسـعادة تغمـر قلبيهـما فلقـد تزوجـا عـن قصـة حـب كبـيرة منـذ أكـثر مـن عـشرة أعـوام وكانـت هنـاك الكثـير مـن العـثرات والثغـرات والرفـض مـن قبـل الأهـل لإتمـام تلـك الزيجـة، فلـم تكـن الفتـاة مـن نفـس المسـتوى الإجتماعـي والمـادي للشـاب بـل كانـت مـن مسـتوى أقـل ومـن بيئـة مختلفـة تمامـا عـن بيئتـه وحياتـه المرفهـة،

فكانـت منـار مـن عائلـة فقـيرة تعيـش في أحـد الأحيـاء الشـعبية بمنطقـة بـولاق الدكـرور، وكان وليـد شـاب ثـري ومـن أسرة مرموقـة جـدا بالمجتمـع فوالـده صاحـب أشـهر مصانـع الحديـد في مـصر كلهـا، يعيـش في الزمالك في فيـلا فاخـرة، ولكنـه الحـب الـذي لا يعـرف تلـك السـخافات والفروقـات الاجتماعيـة، فلقـد اجتمعـا في نفـس الكليـة، كليـة الطـب جامعـة القاهـرة، لم تشـفع عنـد أهـل وليـد دراسـة منـار العلميـة وبأنهـا سـتصبح طبيبـة بعـد سـنتين مـن التخـرج، نشـأت قصـة حبهـما منـذ اللقـاء الأول ومنـذ أن تلاقـت عيونهـما في أول يـوم لهـما بالجامعـة، كان حبهـما يكـبر يومـا بعـد يـوم متحديـا كل شيء غـير مبـال بـأي عـرف وتقليـد حتـى فاتـح وليـد والدتـه بأمـر منـار.

ولكنهـا رفضـت بشـدة ووبختـه عـلى مـا يريـد، فالفتـاة لا تناسـبة اجتماعيـا والمسـتوى الثقـافي لا يشـفع وحـده هـي تعـرف ذلـك حـاول وليد كثـيرا حتـى بعـد تخرجهـما معـا وعملهـما معـا بنفـس المستشـفى، وأخـير بعـد عـشر سـنوات وافـق والـدا وليـد عـلى مضـض فهـو ابنهـما الوحيـد في النهايـة وهـما يتمنيـان سـعادته رغـم كل شيء، وهـا هـي اللحظـة التـي يتمناهـا وليـد وتتمناهـا منـار منـذ سـنوات عجـاف، أن يجمعهـما مـكان واحـد ويكونـا معـا.

كانـت السـعادة مرتسـمة في عيونهـما، دخـلا الغرفـة احتضنهـا وليـد بشـوق بـين ذراعيـه، فـكان يتمنـى تلـك اللحظـة منـذ سـنوات فلـم تسـمح لـه منـار بلمسـها يومـا، كان الشـوق يقتلـه واللهفـة تمـزق كيانـه لتقبيلهـا، اندمجـا في قبلـه طويلـة ليودعاهـا كل ذلـك اللهيـب في صدرورهـم والشـوق المسـتعر في القلـوب، فلـن يشـعر بمـدى شـوقهما إلا عاشـق حـرم مـن حبيبـه، كانـت هـي سـعيدة ولكنهـا تشـعر بالخجـل الشـديد هـي تتمنـى أن تـذوب بـين يديـه عشـقا، ولكنهـا محرجـة ومرتبكـة في نفـس

الوقـت، أفلتـت منـه قائلـة بخجـل:

_ وليد أريد دخول الحمام لأبدل ثوب الزفاف اتركني أرجوك.

_ نظر لها بلهفة قائلا:

_ ولما لا تبدليه هنا سأساعدك

احمر وجهها خجلا وقالت:

_ وليد اصمت سأبدل ثيابي وأعود اليك.

أمسـكها مـن ذراعهـا وقبلهـا مـن عنقهـا بلهفـة قائـلا، انتظـري حبيبتـي سأسـاعدك وبعدهـا حـاول الإقـتراب منهـا بشـغف، فأبعدتـه وهـي تـردد:

_ ابتعد عني سأبدل ثيابي في الحمام فأنا محرجة

أسرعـت تركـض بخجـل وقـد احمـر وجههـا وشـعرت بالحـرارة تـسري في جسـدها كلـه وسـمعت صوتـه يـردد بهمـس:

لا تتأخريـن حتـى لا تفوتـك المفاجـأة حبيبتـي التـي أحضرتهـا لـك، دخلـت الحـمام وهـي تركـض بخجـل شـديد وأغلقـت البـاب بالمفتـاح خلفهـا حتـى لا يدخـل، كانـت متوتـرة جـدا وخائفـة في نفـس الوقـت، تهيـم بـه حبـا لا تنكـر ولكنهـا محرجـة بشـدة، سـمعت صـوت عـال ودوشـة مـن خـارج الحـمام ابتسـمت وهـي تقـول لنفسـها:

_ لا أعـرف مـاذا يفعـل هـذا المجنـون بالخـارج ولكننـي سـأدعه ينتظـر حتـى يسـيطر عـلى مشـاعره قليـلا، ازداد صـوت الارتطـام بالخـارج لدرجـة مقلقـة، فتحـت البـاب بقلـق ولم تبـدل حتـى ثـوب

زفافها بعد وقالت بتوتر:

_ هل جننت يا وليد ما تلك الضجة..

لم تكمل جملتها من هول ما رأت فأطلقت صرخة مدوية، وبعدها سقطت فاقدة الوعي لا تتذكر شيء ولا حتى تصدق ما رأت أمام عينيها.

كانت رائحة شواء اللحم واحتراق الشعر تملأ الغرفة بصورة كبيرة وخانقة، وكان رجال البحث الجنائي والمحققون يملئون الغرفة يلتقطون عشرات الصور لكل زاوية من زوايا الجثة والغرفة كلها، لقد كان المنظر مهيب وجلل لن ينساه كل من رآه، فكانت العروس فاقدة الوعي على الأرض لا تتحرك تقريبا لا يعلمون هل غادرت روحها الحياة أم أنها فاقدة الوعي فقط، وكانت الغرفة مقلوبة رأسا على عقب فكل شيء فيها مدمر تماما، وكأن إعصارا مدمر أو تسونامي قد مر من هنا، فدمرها تماما وقلبها رأسا على عقب، كل شيء كان محطم ومهشم ومقلوب رأسا على عقب وكان الطبيب الشاب وليد عبد العال بكري، العريس الذي لم يمر على زواجه أقل من ساعة، ولم يدخل دنيا بعد قد غادرها بكل قسوة ووحشية.

لقد كان معلقا من قدمية اليسرى بخطاف من الحديد مكان مصباح الغرفة في منتصف الحجرة، كان الشاب عاري تماما مذبوح كالنعاج من الرقبة ولكنها في الحقيقية لم تفصل تماما، فمازالت هناك تلك القطعة الرقيقة من الجلد التي تمسكها بباقي الجسد لتتدلى في منظر مقزز، وكان كفي يديه مفصولان تماما عن الجسد، فيبدو أنه تم بتر اليدين بشيىء ساخن جدا وحاد مرة واحدة، فلا توجد قطرة دم واحدة تنزف مكان بتر كفين الرجل فلقد تم كي الأوردة والشرايين

بشيء من الجمر الملتهب وحرارته شديدة جدا، فكانت حالة الجثة مزرية فعند الصدر الأبيض العاري، حفر بلامبالاة وكأنهم يحفرون على جزع شجرة على صدر الجثة العاري فيما يبدو بالشوكة أو بألة حادة لا أحد يعرف ولكنهم كتبوا جملة بارزة على لحم الرجل:

«سأفعل ما تريدون جميعا - سأعود إليكم»

وكان كل الجزء السفلي للرجل محترق تماما ومتفحم من بداية السرة وحتى أصابع القدمين، يبدو أنه قد تم سكب مادة كيميائية وحامض قوى ليحرق ذلك الجزء من الجسد بتلك الطريقة الصعبة والحرق يبدو من الدرجة الأولى، ومن الواضح بأن جزء الرجل السفلي قد تم حرقة وهو مازال على قيد الحياة وأمام عينيه.

فلقد كان وجه الرجل يبدو عليه الألم ممتزج بالرعب والفزع الشديد، ولسانه متدلى من الفم للخارج وكأنه يستنجد بمن ينقذه.

على ما يبدو بأنه شاهد من فعل هذا وشعر بما يحدث له وبكل خلية من جسده وهي تحترق، فمن المؤلم رؤية أجزاء جسدك السفلية وهي تحترق أمام عينيك وأنت معلق كالذبيحة تراها من الأعلى، كان الجميع في حالة من الوجوم والصدمة الشديدة من مظهر العريس الذي لم يدخل دنيا بل ذهب للجحيم مباشرة بلا أي رجعة ولا بادرة أمل.

رفع رجال الإسعاف العروسالفاقدة الوعي فوق المحفة، ويبدو أن حالتها كانت سيئة جدا فلم تستجب لأي إفاقة فدخلت في حالة غيبوبة وصدمة شديدة.

وقف المقدم أدهم وهو يشعل سيجارته لينفث دخانها بعنف

شـديد، ليخـرج ذلـك التوتـر الشـديد ومـا بداخـل صـدره مـن توتـر وإنفعـال وغضـب نعـم غضـب يجتـاح كيانـه وهـو يتخيـل نفسـه في مثـل وضـع الرجـل وأحرقـوا أعضائـه حيـا ولم يكتفـوا بحرقـة بـل ذبحـوه كالنعـاج، وقبـل النحـر حفـروا بسـكين حـاد فـوق صـدره ليكتبـوا مـا كتبـوا فـوق اللحـم ليشـعر بوغـز السـكين وهـي تقطـع مـن لحمـة، وربمـا قطعـوا الكفـين أيضـا قبـل الذبـح حتـى يشـعر بـالألم أكـثر وأكـثر فيـا لقسـوة تلـك الحيـاة.

لقـد تـم كي كفـين العريـس بـشيء مـن جهنـم فـما تلـك القسـوة والوحشـية المفرطـة في تعذيـب المسـكين، ومـاذا فعـل الرجـل ليحـدث بـه كل هـذا ويعـاني لتلـك الدرجـة لقـد كان أسـعد يـوم في حياتـه.

قـال أدهـم موجهـا كلامـه لمسـاعده المـلازم أول سـليم ، وهـو ينظـر بـشرود ويفكـر في العروسـالتي يحملهـا المسـعفون ومازالـت بثـوب الزفـاف الأبيض:

_ هل تعتقد بأنها هي الفاعلة يا سليم؟

ردد سليم بثقة:

_ لا أظـن يـا أدهـم بيـك بأنهـا تسـتطيع فعلهـا، فهـي حتـى لم تبـدل ثوبهـا، كـما أن ثوبهـا نظيـف تمامـا فليـس هنـاك أثـار دمـاء ولا عنـف فـلا قطـرة دم واحـدة تلطخـه، يبدوأنهـا تفاجـأت بالأمـر كـما تفاجـأ مـن رأى الرجـل، فسـقطت فاقـدة الوعـي ولم تتحمـل المنظـر لعريسـها، كـما أن الغرفـة مدمـرة تمامـا وكأن هنـاك إعصـار ووحـش كاسر أو شيء خـارق للطبيعـة قـام بتدميرهـا وليـس للبـشر دخـل بالأمـر أنظـر هنـا لذلـك الجـدار المحطـم أجـزاء منـه فكيـف للبـشر بفعـل ذلـك، إلا لـو كانـوا

خارقـين وهنـا ردد أدهـم بسـخرية:

_ هـل سـتخرف يـا سـليم الآن فليـس هـذا وقـت للمزاح والسـخرية، فليـس هنـاك شيء خـارق للطبيعـة، وغـير خـارق للطبيعـة، ولكنـه مختـل ومجنـون مريـض نفـسي هـو مـن فعـل كل ذلـك بالمسـكين في ليلـة عرسـه، و أعتقـد بأنـه شـخص قـوي جـدا حتـى يسـتطيع فعـل كل ذلـك، ويدمـر الغرفـة بتلـك الطريقـة الغريبـة، فانظـر إلى الجـدران المتشـققة هنـا، يبـدو أن أحدهـم قذفهـا بـشيء ثقيـل وبقـوة كبـيرة لذلـك تشـققت جـدارن الغرفـة وكأنهـا خرجـت لتوهـا مـن زلـزلال بقـوة ١٠ ريخـتر، وأشـار بيديـه إلى جـزء مـن الجـدار بتعجـب كبـير، كان كلام أدهـم منطقـي جـدا فالغرفة تعرضـت للتدمـير الكبـير بفعـل شـخص قـوى وربمـا أشـخاص وليـس شـخص واحـد ولكـن هـل للعـروس دخـل بالأمـر هـل هـي الفاعلـة، فمـن هيئتهـا وحجـم جسـدها الهزيـل لا يظـن أحـد أن تقـوم بذلـك وحتـى إن أرادت قتـل الرجـل فلـما تقتلـه في ليلـة الزفـاف وبتلـك الوحشـية المفرطـة بالتعذيـب والسـادية؟!

ردد أدهـم موجهـا سـؤاله لكبـير خادمـي الغـرف بالفنـدق، فلـم يحـضر مديـر الفنـدق بعـد قائـلا بصـوت مترقـب:

_ أخبرني يا رجل ماذا حدث هنا بالضبط من البداية؟

قـال الرجـل بصـوت مبحـوح متقطـع خـرج بصعوبـة مـن حلقـه الجـاف:

_ لا أعـرف يـا سـيدي الشرطـي، أقسـم لـك لا أحـد يعـرف شيء ولا مـا الـذي حـدث لقـد سـمعنا صراخ العـروس الهيسـتيري عـالي جـدا تسـتغيث أن ينقذهـا أحدهـم وبعدهـا صـوت ارتطـام عنيـف، فاضطررنـا

لفتح الباب لأننادققنا الباب كثيرا ولم يفتح أحد لنا، فدخلنا بالمفتاح الاحتياطي الذي نحتفظ به لنظافة الغرف ووجدنا العريس معلق بتلك الطريقة ونصفه محترق والعروسة على الأرض فاقدة الوعي، فقمنا بإبلاغ الشرطة وحضرتم أنتم بسرعة، أقسم لك هذا كل شيء يا سيدي.

نظر أدهم طويلا للرجل وهو يضيق عينيه، ليتأكد من صدق كلامه قائلا:

_ أخبرني متى دخلا العروسان لغرفتهما ومتى سمعتم الصراخ بالضبط.

رد الرجل بصوت متوتر وهو يشيح بنظره بعيدا عن جثة العريس التي مازالت معلقة بسقف الحجرة ومازالوا يلتقطون لها مئات الصور لا يفهم لماذا لا يرحمون الرجل ويدارون سوأته وقال بصوت مهزوز:

_ لقد انتهى الحفل في تمام الثالثة ودع العروسان المدعوين و استقلا بعدها المصعد إلى غرفتهما ربما دخلا الغرفة في الثالثة والنصف وخمس دقائق، ولقد سمعنا الصراخ في الرابعة تماما، وأسرع ا الجميع لمعرفة ما يحدث فدخلنا الغرفة وشاهدنا العريس مذبوح ومعلق والعروس ساقطة على الأرض، فأبلغنا الشرطة أقسم لك هذا كل شيء وما حدث بالتفصيل.

نظر أدهم إلى زميلة سليم فقال ادهم:

_ اذهب يا رجل ولا يغادر أحد الفندق حتى ينتهى التحقيق.

هـز العامـل رأسـه بنعـم ولم يـرد وإنـصرف مسرعـا، كان يريـد إستنشـاق هـواء نظيـف فرائحـة اللحـم المحـترق ممتزجـة برائحـة المـوت كانـت كريهـة جـدا ومقـززة لا يحـب أحـد أن يستنشـقها أبـدا .

نظر سليم إلى عيون أدهم وقال بتوتر:

_ لا أفهـم كيـف تحـدث كل تلـك الفـوضى في أقـل مـن نصـف سـاعة، هنـاك شيء غامـض وغريـب بالقصـة لا افهمـه، نظـر أدهـم إليـه طويـلا ولم يـرد بـل كان عقلـه في شيء آخـر كان عقلـه يفكـر في العـروس، هـل رأت مـا حـدث لزوجهـا وشـاهدت الفاعـل أم أنهـا لم تـرى شيء، ولمـاذا لم يقـترب القاتـل منهـا يـا تـرى؟

قطع حبل أفكاره أحد رجال البحث الجنائي وهو يردد بدهشة:

_ مـا تلـك المـادة البيضـاء لا أفهـم تبـدوا كرواسـب حامـض اختلـط بالهـواء؟

اقترب مساعد اخر للرجل وهو يردد:

_ ربمـا هـي مـا تسـببت في حـرق الرجـل فتلـك الحـروق بفعـل مـادة كيمائيـة وحمضقـوي وليـس نـيران عاديـة أبـدا، فتـآكل اللحـم بتلـك الطريقـة لا تحرقـة نـيران..

رد الأول:

_ سنرسـلها للمعمـل الجنـائي وسـنعرف ماهيتهـا وجمـع بعـض منهـا في أنبوبـة اختبـار مـن الزجـاج، بمـا يشـبه الفرشـاة الصغـيرة كان أدهـم يتابـع مـا يقـولان باهتـمام كبـير، دون أن ينطـق ولكـن حدثـه كان يخـبره بأنـه مقبـل عـلى أيـام سـوداء ولـن ينـام فيهـا.

محافظة الجيزة

١٤ من يوليو الساعة الثالثة فجرا

كان سامي ينام بجوار زوجته يشعر بالإنهاك الشديد ممتزج بالسعادة والإنتشاء، فمنذ ساعات قليلة كان حفل زفافه على إبنة عمه الجميلة رحاب التي فاز بها بعد سنين من التعب والغربة في إحدى دول الخليج للعمل هناك، لقد ذاق الكثير من المهانة والذل من أجل أن يشتري تلك الشقة الفاخرة وذلك الأساس الغالي ويؤمن مستقبله، ليستقر في مصر.

لقد أفتتح محل لبيع الهواتف الجوالة وملحقاتها، وجهز شقته وتزوج من ابنة عمه الجميلة ذات الجسد الممشوق والقوام الرائع، واليوم كان أجمل يوم في حياته أصر على أن ينهي حفل العرس مبكرا، حتى يذهب إلى منزله فلقد كان مشتاقا لعروسته، إنتهى حفل الزفاف في الحادية عشر وذهب العريس مع عروسته إلى منزله مباشرة ورفض دعوة اصدقائه وأقاربه للسهر مع العروس في أي مكان، هو يريد أن يجتمع مع زوجته ويسهرا في منزلهما ولقد وصلا في تمام الحادية عشر والنصف.

أبدلا ثيابهما وقضيا أجمل ساعتان في حياتهما معا وبعدها نام العريس وهو يشعر بالإنهاك والنشوة، ونامت العروس وهي تشعر بالإرهاق فلقد كان اليوم طويل عند مصفف الشعر والإستعداد لحفل الزفاف، كانت الساعة وقتها الثانية بعد منتصف الليل، لقد سمع

سـامي دقـات السـاعة التـي أحضرهـا معـه مـن الدولـة العربيـة التـي كان يعمـل بهـا، خـارج غرفـة النـوم تشـير إلى الثانيـة فجـرا، نظـر إلى عروسـته النائمـة كالملاك بجـواره بثيـاب النـوم البيضـاء وشـعرها الثائـر عـلى الوسـادة بـدلال ممتـزج بالجنـون، كانـت جميلـة ويبـدو أنهـا كانـت مرهقـة ولم تنـم منـذ أيـام بسـبب اسـتعدادات العـرس، قبـل جبهتهـا بحنـان ووضـع يـده عـلى خصرهـا واحتضنهـا بقـوة لا يصـدق بأنهـا أخـيرا أصبحـت ملكـه وحـده وأغمـض عينيـه، قالـت وهـي تتـأوه، مـن بـين اليقظـة والنـوم:

_ أحبك تصبح على خير .

ردد بهيام:

_ وأنا اعشقك تصبحين على خير حبيبتي .

_ أغمـض عينيـه، وحـاول النـوم، هـل دخـل في النـوم،أم مـازال متيقـظ هـل يحلـم أم أن تلـك الخربشـة حقـا تـأتي مـن الخـارج، حـاول أن يتنـاسى الأمـر وهـو يوهـم نفسـه بأنهـا مجـرد أوهـام وليـس هنـاك صـوت غريـب سـوى صـوت السـعادة التـي تجتـاح جسـده وقلبـه وعقلـه وكيانـه الآن فقـط، ولكـن الصـوت تلـك المـرة كان عاليـا لم يسـتطع أن يتجاهلـه هـل هـو لـص، ومـا هـذا اللـص الغبـي الـذي يقتحـم شـقة عريـس ليلـة الزفـاف؟

_ لا لا لـن يكـون لـص أبـدا فحقـا اللصـوص تفهـم في تلـك الأمـور والواجـب ولـن يفعلوهـا اليـوم، قـام مـن فـوق الفـراش ارتـدى شـيئا ليسـتر بهجسـده وخـرج وهـو يشـعر بالتوتـر ، نظـر إلى زوجتـه النائمـة وخـرج يسـتطلع مـا الأمـر ومـا تلـك الأصـوات بالخـارج ويـا ليتـه مـا فعـل .

***

استيقظت رحاب صباحا وهي تشعر بالإرهاق الشديد والألم نظرت جوارها على الفراش إلى عريسها سامي وهي تقول:

_ صباح الخير حبيبي..

ولكنها لم تكمل جملتها فلم تجده جوارها إعتقدت بأنه دخل الحمام ليستحم، نزلت من فوق الفراش وارتدت الروب ووقفت أمام المرآة تمشط شعرها وتضع بعض العطر، والقليل من أحمر الشفاه، خرجت بتكاسل وهي تنادي على إبن عمها وزوجها مرددة:

سمسم أين أنت حبي...

في الحقيقية هي لم تكمل حتى جملتها فلقد وقفت تصرخ بهيسترية شديدة لا تصدق ما تراه أمامها في البهو الواسع، فلقد كان مقلوب رأسا على عقب وكل شيء محطم بطريقة غريبة، و كأن إعصار قد حطم كل شيء، شعرت بأنها ستموت وقلبها سيتوقف مما تراه أمام عينيها، فجهازها الثمين والنيش والصحون والأكواب الكريستال الغالية والصيني والأكروبال كانت محطمة تماما.

و كان العريس معلق مكان النجفة الكريستال في منتصف الرسبشن تماما.

معلق بخطاف من الحديد مغروس في لحم قدميه عاري الجسد وكان مذبوح من رقبته ويتدلي لسانه للخارج بطريقة مقززة جدا وعيونه مخلوعة من مقلتيها وتخرج من تجويف العين، ولكنها لم تسقط على الأرض فهناك ما يشبه الحبل ليمسكها بالرأس، وكانت كل أجزائه السفلية محترقة ومتفحمة بشكل صعب،وحتى يديه لم تكن موجودة لقد قطعوها له، هل سرقوا كفين زوجها أم أنها مدفونة بين ذلك الحطام من الأكواب والأطباق المحطمة، صرخت بفزع هل

حفـروا عـلى صـدر زوجهـا العـاري بسـكين عـلى اللحـم فقطعـوه، هـل بقـروا بطنـه فأخرجـوا الأمعـاء والأحشـاء مـن مكمنهـا، كانـت الدمـاء تغـرق الأرض والسـجاد الجديـد الـذي لم يطـأه أحـد ولم يسـير عليـه أحـد بعـد، كل تلـك الأشـياء ثمينـة دفـع الرجـل ثمنهـا في الغربـة سـنوات طويلـة، وتعـب مـن أجـل إحضارهـا فاليـوم تشربـت دمائـه بسـماجة شـديدة، أخـذت تـصرخ كالمجنونـة بهيسـتريا وهـي تـرى مـا فعلـوه بعريسـها، لماذا لم تسـقط فاقـدة الوعـي الآن، يختلـف هـذا العقـل البـشري في تكوينـه بـين البـشر وبـين ردة فعـل كل إنسـان والآخـر إن تعـرض لنفـس الموقـف المرعـب والضغـط النفـسي الشـديد.

لقـد أخـذت العـروس تـصرخ بهيسـتريا وأسرعـت تركـض لتنجـو بحياتهـا وهـي تعتقـد بـأن القاتـل مـازال بالشـقة وسـوف يقتلهـا، فتحـت بـاب الشـقة بثـوب النـوم وهـي تـصرخ كالمجنونـة، ولا تتكلـم وعندمـا التـف الجـيران مـن حولهـا وخرجـوا مـن منازلهـم يتسـائلون بفـزع عـما حـدث، هنـا فقـط اسـتوعب عقلهـا أنهـا بأمـان وسـوف يحميهـا الجـيران مـن المجـرم الطليـق بالشـقة الـذي قتـل زوجهـا بتلـك الطريقـة فسـقطت فاقـدة الوعـي تحـت أرجلهـم ولم تتكلـم بـل أشـارت إلى بـاب الشـقة.

***

رجـال بحـث جنـائي مفتشـون لرفـع البصـمات، مخـبرون يحومـون حـول المنطقـة يسـألون لقـد كانـت حالـة الجثـة صعبـة جـدا تلـك المـرة مـع بقـر البطـن وإخـراج مـا بداخلهـا مـن أحشـاء وهـو نفـس مـا حـدث لجثـة الدقـي بالقاهـرة، لقـد تحولـت شـقة العروسـان لحالـة مـن الفـوضى العارمـة مـن رجـال بحـث ورجـال شرطـة ومسـعفون يرفعـون النـاس، الكثـير مـن الجـيران لم يتحملـوا بشـاعة المنظـر فسـقطوا فاقديـن الوعـي

مـن الصدمـة ولم تسـتطع الجهـود الذاتيـة لإفاقتهـم، وكأن هنـاك حالـة مـن الفـوضى وفـيروس طليـق يجعـل النـاس يفقـدون وعيهـم في لحظـات، أخـذ المسـعفون يحاولـون إفاقـة النـاس منهـم مـن اسـتجاب ومنهـم مـن لم يسـتجب فنقـل للمسـشـفى، حالـة عارمـة مـن الفـوضى والذهـول الشـديد والوجـوم، كان العريـس معلـق مـن أقدامـه كالذبيحـة بخطاف مـن الحديد مغـروس في لحـم القـدم المحـروق، والرقبـة مفصولـة عـن الـرأس ومازالـت ملتصقـة بتلـك القطعـة الصغـيرة كالقشـة التـي ينتظرهـا الغريـق لتنجـده، وقـف رجـال البحـث الجنـائي يلتقطـون البصـمات والكثـير مـن الصـور لجثـة الرجـل ولتلـك الجملـة المحفـورة بـشيء حـاد عـلى صـدره:

«سأفعل ما تريدون جميعا - سأعود إليكم»

١٥من يوليو محافظة القليوبية
شبرا الخيمة، الساعة الثالثة فجرا

استيقظ سكان أهالي منطقة عزبة عثمان بشبرا الخيمة على تلك الصرخات الهيستيرية المتتالية التي شقت سكون الليل كصواعق من السماء، وبعدها صوت إرتطام قوي بالشارع، خرج الناس في تلك الحارة الضيقة لمعرفة ما حدث فصدموا من رؤية الفتاة ساقطة على وجهها في الشارع بثوبها الأبيض، خرج الجميع من بيوتهم وكانت المفاجأة لقد كانت العروس الجديدة التي كان عرسها وزفتها منذ أقل من ساعة مضت وكان الجميع يشاهدها وهي تخرج من السيارات المزينة بالورود الحمراء من الشرفات والنوافذ وهي بثوب الزفاف الأبيض، والآن هي ملقاة على الأرض ومازالت بنفس الثوب الأبيض لم تنزعه عنها بعد، لقد سقطت من الطابق الخامس حيث شقتها ولكن لا أحد يعرف ما الذي حدث بالضبط، ولكن أين العريس، فلم يظهر وهل هو من ألقاها من الشرفة، أسئلة عديدة كانت تراود الناس وعقولهم فما الذي حدث ولماذا تنتحر العروس ليلة زفافها الكثير والكثير من الأفكار السيئة التي تجول بخاطرهم بخصوص العروس وألف ظن وظن سيطر على عقولهم في تلك اللحظة،إتصلوا بالشرطة التي حضرت على الفور خلال دقائق قليلة فلقد كان قسم شرطة قريب من المنطقة، واتصل أهل الخير من الجيران بأهل العروسان وكانت المفاجأة صادمة عندما اقتحمت قوات الشرطة شقة العروس مرة واحدة بحثا عن العريس الذي كان الجميع يتهمه بقتلها وإلقائها من الطابق الخامس بلا رحمة.

ولكنهم ابتلعوا ألسنتهم في أفواههم وصمتوا من الصدمة ومن

هـول مـا رأوا، لقـد كان العريـس مذبـوح مـن رقبتـه ومعلـق في منتصـف غرفـة النـوم كالذبيحـة، محـترق الأعضـاء السـفلية حتـى القدمـين، ومقطوع الكفـين تمامـا وبطنـه مبقـورة وأحشـاء متدليـة مـن داخلهـا بصـورة دمويـة للغايـة، فلقـد كانـت الدمـاء تلطـخ الجـدران وتلونهـا بشـكل صعـب للغايـة ومرعـب ويتكـرر السـيناريو الكئيـب بـكل تفاصيلـه ولكنـه أكـثر بشـاعة ودمويـة تلـك المـرة، وتحطـم كامـل لغرفـة النـوم وتحطيـم كل الأثـاث، والفـراش مقلـوب رأس عـلى عقـب، وكتـب عـلى صـدر الرجـل العـاري نفـس الجملـة «سـأفعل مـا تريـدون جميعـا - سـأعود إليكـم»

محفـورة بسـادية شـديدة عـلى صـدره بـشيء حـاد، لقـد كانـت الجثـة هنـا أشـد سـوء وفي حالـة مزريـة عـن الجثث الأخـرى، فالجثـة الأولى لم يسـتخرج العينـين والجثـة الثانيـة أخرجهـما ولكـن لم يتـم إسـتئصالهما، أمـا هنـا لم يكتفـي القاتـل بسرقـة الكفيـين ، بـل لقـد قـام بإخـراج العينـين أيضـا مـن مقلتيهـا ، وتـرك مكانهـا تجويـف فـارغ، ، كـما انـه قـام ببقـر بطـن الجثـة لتخـرج أمعائهـا وأحشـائها بسـماجة عـلى الأرض في منظـر مقزز جـدا، كانـت الجثـة معلقـة ومازالـت الـرأس ملتصقـة بالرقبـه بقطعـة جلد رقيقـة جـدا والكثـير مـن الدمـاء عـلى الفـراش والأرض، والكثـير مـن تلـك المـادة البيضـاء بالغرفـة تشـبه المسـحوق.

أخذت أم العريس تصرخ بهيستريا كالمجنونة وهي تردد وتنوح:

إنهـا العـروس الشـؤم كنـت أكرههـا كالمـوت وقلـت لـه ألا يتزوجهـا فهـي شـؤم وقدمهـا كالغـراب ولكنـه لم يسـمعني، لقـد قتلـت إبنـي.

وهنـا تدخلـت أم العروسـة الملتاعـة لمـوت ابنتهـا هـي الأخـرى فلقـد ماتـت العـروس بعـد سـقوطها مـن الطابـق الخامـس عـلى وجههـا وكانـت تنـزف والدمـاء تغـرق أرض الشـارع وثـوب زفافهـا الأبيـض:

لقـد قتلهـا اللعـين كنـت أكرهـه ولكـن هـي أصرت عـلى الـزواج منـه وقالـت لي بأنهـا تحبـه، أخبرتهـا بأننـي لسـت مسـتريحة لـه ولا لأمـه

الشـمطاء كالعقربـاء والحرباية تتلـون بألـف لـون وشـكل.

أخـذت تـصرخ وتدعـي وأم العريـس تـصرخ وتولـول وتـرد عليهـا، وأشـتبك العديـد مـن أهـل العريـس مـع العديـد مـن اهـل العـروس وتدخلـت الشرطـة لفـض النـزاع بينهـما وفرقتهـما، وكلامنهـما بداخلـه نـار حاميـة وبراكـين ثائـرة سـتحرق الجميـع وتحولهـا لرمـاد في أي لحظـة.

أمـر المحققـون الجنـود بإبعـاد المرأتـان والأهـالي مـن المنطقـة وإخلائهـا حتـى يتفرغـوا للتحقيـق، وأخـذ رجـال البحـث الجنـائي في عملهـم ورفـع البصـمات والتقـاط الصـور مـن كل زاويـة، كان الجميـع يشـعر بالوجـوم والبشـاعة،وصل المحققـان أدهـم وسـليم مـن مباحـث أمـن القاهـرة، بعـد مكالمـة هاتفيـة مـن اللـواء بهجـت عـز الديـن مسـاعد وزيـر الداخليـة، لقـد اتصـلا بهـما الرجـل ليتابعـا التحقيـق في جريمـة القتـل فلقـد كانـت نفـس طريقتـي القتـل السـابقة بالدقـي وفيصـل، ويبدوأنـه نفـس القاتـل المجنـون فنفـس طريقـة القتـل والبشـاعة واحـدة.

ولكنـه في كل مـرة يضيـف شـيئا جديـد للضحيـة، وكأنـه يتعلـم كل مـرة شـيئا جديـد عـن تعذيـب الجثـث ويـود تطبيقـه عمـلي عـلى الجثـث، وكان أدهـم مـن أكفـأ ضبـاط الشرطـة ومشـهور عنـه بالـذكاء والشـجاعة النـادرة بـالإدارة لذلـك اختـاره مسـاعد وزيـر الداخليـة بنفسـه ليتـولى أمـر تلـك القضايـا الغامضـة لقتـل العرسـان ومعرفـة مـا الـذي يحـدث بالضبـط وهـل هنـاك صلـة ورابـط بـين الثـلاث جرائـم المتتاليـة؟!

***

(٢)

١٥من يوليو ٢٠٢٠
الساعة الخامسة فجرا

الكثـير مـن الجثـث متناثـرة هنـا وهنـاك في منظـر دمـوي بشـع جـدا تعجـز كتـب الرعـب عـن وصفـه بدقـة، طريـق طويـل مرصـوص فيـه الكثـير مـن الأجسـاد الداميـة عـلى الجانبـين، صـف لرجـال يرتـدون بـزات سـوداء كاملـة وربطـات عنـق حمـراء بـلا رووس، بـل شـلالات مـن الدمـاء تتدفـق مـكان الأعنـاق، فالـرؤوس مفصولـة عـن الأجسـد ببجاحـة شـديدة ولا مبـالاة وموضوعـة أمـام الجسـد والدمـاء مازالـت تخـرج بغضـب مـن الأعنـاق، والصـف الآخـر المقابـل لهـم كان صـف لفتيـات جميـلات يرتديـن اجمـل الأثـواب البيضـاء للزفـاف، ولكـن ذيولهـا ملطخـة بالدمـاء ولكنهـن يبـدن نائمـات ،فمازالـت رؤوسـهن ملتصقـة بالأجسـاد كـما هـي لم تقطـع كالرجـال فكيـف تقطـع رؤوس تلـك الفراشـات الجميـلات، صـف طويـل لا تسـتطع العـين أن تصـل لنهايتـه.

الكثـير مـن الأجسـاد الداميـة والأثـواب الغارقـة في الدمـاء عـلى الجانبـين، القـدم مقابـل للقـدم الأخـر والكتـف ملاصـق للكتـف الأخـر، في تلاحـم غريـب وكأنـه يـوم الحـشر العظيـم، وكان ذلـك الظـل الأسـود يسـير متلفحـا بالسـواد الشـديد، ليسـت لـه أي ملامـح واضحـة، كان عبارة عـن ظـل أسـود فقـط فـكل ملامحـه مبهمـة، غريـب جـدا ذلـك الشـعور أن تـرى وجهـا أمامـك يقـترب منـك، ولكـن لا تسـتطيع وصـف ملامحـه

وتفاصيلـه، فتقـف حائـر هـو أمامـك ولكـن لا تعـرف كيـف تصفـه، اقـترب الظـل مـن أقـرب الأجسـاد لهـا، أخـذ يتفحـص الجسـد الدامـي لذلـك الشـاب المسـجى عـلى الأرض، فـاردا ذراعيـه وأقدامـه أمامـه، تشـمم الهواء بطريقـة غريبـة وبعدهـا انحنـى عـلى ركبتيـه، ولم يهتـم بتلـك الدمـاء الكثـيرة عـلى الأرض، وبعدهـا رفـع إحـدى أذرع الجثـة وأمسـك كـف اليـد وقـام بقطعـه مـرة واحـدة بتلـك السـكين الكبـير، التـي كان يحملهـا باليـد الأخـرى، وبعدهـا قطـع اليـد الأخـرى وقـام بربـط اليديـن ببعضهـما البعـض بأحـد الخيـوط وعلقهـا في رقبتهـا كالقـلادة، وامتـد يـده ليدخـل صـدر الجثـة ليسـتخرج القلـب ويعتـصره بقـوة بـين يديـه ووقـف ثانيـة واحـدة متأمـلا تلـك الدمـاء المتجلطـة مـكان اعتصـار قلـب الرجـل، وبعدها انتقـل للجثـة الأخـرى وقـام بقطـع اليديـن كـما فعـل لـلأولى واخـترق الصـدر ليسـتخرج القلـب مـن جديـد ويعتـصره كـما يعتـصر الليمـون ليخـرج تلـك العصـارة بداخلـه، وكـرر مـا فعـل بـكل الجثـث حتـى أصبـح يحمـل الكثـير مـن الأيـدي المبتـورة التـي مازالـت تقطـر الدمـاء الغزيـرة، وكان الظـل الأسـود يعلقهـم عـلى صـدره في صـورة غريبةومقـززة بشـدة، كان الظـل يسـير بخطـى ثابتـة والكثـير مـن الأيـدي المعلقـة حـول رقبتـه مربوطـة ببعضهـا البعـض كباقـة الـوردفي فصـل الربيـع .

لم يلتفـت الظـل الأسـود إلى أجسـاد الفتيـات الملقـاة عـلى الأرض، بـل كان كل تركيـزه مـع جثـث الرجـال، يقطـع أيديهـم باسـتمتاع ونشـوة كبـيرة.

حتـى وصـل الظـل الأسـود لآخـر جسـد نائـم عـلى الأرض وقـام بقطـع يديـه مـرة واحـدة، ولكنـه لم يكتفـي فقـام بشـق ثيابـه، وبعدهـا قـام بقطـع أرجلـه أيضـا باسـتمتاع ومـن بدايـة الفخـذ كانـت صـدى ضحكاتـه الهيسـتيرية عاليـة ومزعـج، رفـع الظـل أرجـل الرجـل كاملـة بعـد أن أخرجهـا مـن بنطالهـا الأسـود، أمسـكها عاريـة مليئـة بالشـعر بـين يديهـا،

قـام بقطـع جـزء مـن لحـم القـدم السـفلية، وبعدهـا الأصابـع الخمـس للقـدم كلهـا، وبعدهـا وضعهـم في وعـاء مـن الزجـاج كان موجـود عـلى إحـدى المناضـد العاليـة، وبعدهـا ألقـى رجـل الرجـل بعيـدا بلامبالاة.وكأنـه إكتفـى بقطعـة اللحـم وأصابـع القـدم الخمـس ولم يعـد لـه حاجـة بأرجـل الرجـل، انتقـل للرجـل الأخـرى، وقـام بفعـل مـا فعلـه بالرجـل الأولى، وبعدهـا انتقـل للجثـة الثانيـة، يبـدوا علىالجثـة الصدمـة الشـديدة والألم، هـل مـازال الرجـل حيـا، هـل مـازال يشـعر بـالألم والعـذاب رغـم قطـع يديـه بقسـوة ورأسـه، هـل قـام الجسـد ليجلـس بذعـر بـلا رأس وكأنـه ينظـر لرأسـه ويديـه المقطوعـة بذعـر وبعدهـا يـصرخ الـرأس عـلى الأرض بصـوت عـالي متألمـا لا يصـدق مـا يحـدث فيـه وكأنـه يسـتنجد بأحدهـم، هـل الصرخـة كانـت عاليـة لدرجـة أفقـدت الظـل الأسـود توازنـه فسـقط عـلى الأرض بغيـظ كبـير، وتناثـرت الأيـدي المبتـورة مـن حولـه في مشـهد غريـب وسـاخر وقـف الظـل بعدهـا بسرعـة ينظـر إلى كل تلـك الأيـادي مـن حولـه بغضـب، لقـد كان كقلـب الـوردة ومـن حولهـا وريقاتهـا الرقيقـة الهشـة..

وهنـا فتحـت هـي عينيهـا مـرة واحـدة بذعـر وألم وهـي تسـمع آذان الفجـر يـردد اللـه أكـبر .. اللـه أكـبر وتحـاول أن تـردد مـا تحفظـه مـن القـرآن الكريـم وآيـات الذكـر الحكيـم، كانـت تتصبـب عرقـا غزيـرا بـاردا، وتشـعر بالـبرد الشـديد والحمـى في نفـس الوقـت فداخلهـا نـارا وخارجهـا ثلـج ورمـاد،وكان كل شيء أسـود أمامهـا حتـى بعـد أن فتحـت عيونهـا البيضـاء تمامـا والخاليـة مـن الحيـاة مـازال السـواد يحيـط بهـا .

شـعرت الحاجـة روحيـة الشـواف بـالألم الشـديد في صدرهـا والغصـة في حلقهـا الجـاف، قامـت مـن فـوق فراشـها تحـاول أن تتسـند عـلى الجـدران حتـى تدخـل دورة الميـاة، كانـت بحاجـة ملحـة لإفـراغ مـا في جوفهـا، فلقـد كانـت تشـعر بالتقـزز وكأن مـا شـاهدته كان حقيقـي وليـس

كابـوس بشـع راودهـا في أحلامها ومنامهـا، ولم يكـن حقيقـي ولكنها تعلم بـأن مـا تـراه في أحلامها النـادرة يكـون صـادق دومـا وحقيقـي ولـه معنـى ودلالـة .

دخلـت دورة المياة أفرغـت كل مـا في جوفهـا مـن عصـارة صفراويـة فلـم يكـن هنـاك شيء بالمعـدة لإخراجـه فلقـد إعتـادت العجـوز عـلى النـوم بعـد صـلاة العشـاء مبـاشرة ، وتنـاول القليـل مـن الطعـام ، حتـى لا تهاجمهـا الكوابيـس، وبعدهـا ، وبعدهـا ذهبـت تتسـند عـلى الجـدران تحـاول ألا تصطـدم بـأي شيء في طريقهـا فلـم تعـد لياقتهـا البدنية، تسـمح لهـا بفعـل الكثـير مـع تقدمهـا بالسـن فلقـد تجـاوزت العجـوز السـبعون عاما،وفقـدت بصرهـا منـذ سـنوات عديـدة مضـت ولكنهـا تأقلمـت عـلى حياتهـا الجديـدة، لقـد كانـت المـرأة ضحيـة لأحـد القتلـة المختلين عقليـا الـذي يعشـق تعذيـب الأجسـاد والسـادية المفرطـة، ليحـرر الأرواح العالقة فيهـا، وتحصـل عـلى حريتهـا كـروح حـرة طليقـة فالجسـد فـاني والـروح باقيـة بالنهايـة، لم يرحـم القاتـل السـيدة العجـوز ولم يتعاطـف مـع شـعرها الأبيـض وسـنها الكبـير، ولكـن العقـل المريـض لا يعـرف كل هـذا لا يعـرف سـوى التعذيـب والنشـوة بالسـادية وسـماع صرخـات الألم مـن الآخريـن عاليـة ولكنهـا رغـم كل هـذا قـد نجـت في النهايـة.

لقـد نجـت روحيـة بعـد هجـوم حـاد عليهـا أدى لإصابتها بـسبع و عـشرون طعنـة وكـسر مضاعـف في جُمجمتهـا مـع ضيـاع ربـع الجمجمـة، بعـد ضربهـا بمطرقـة مـن الحديـد عـلى يـد الدرفيـل وهـو سـفاح مخبـول، مثلـه مثـل معظـم السـفاحين والسـايكو، لقـد أصبـح شـكلها بشـع جـدا ومرعـب وخيـل للجميـع بأنهـا ماتـت يومهـا ولكنهـا بقـدرة الرحمـن نجـت بمُعجـزة مـن السـماء، ولسـبب لا يعلمـه إلا اللـه وحـده، نعـم هـي لم تنـج تمامـا ولم تعـد كـما كانـت مـن قبـل في الحقيقـة، لقـد فقـدت بصرهـا تمامًـا كـما فقـدت ربـع جمجمتهـا، ولكنهـا مـع ذلـك لم تفقـد

آداميتها و اكتسبت قدرة جديدة وموهبة نادرة عوضها الله بها عما حدث لها، وهي رؤية الأمور الخاصة بعالم الأرواح في منامها، لقد أصبحت العجوز أكثر روحانية وروحها أكثر شفافية.

وكل أحلامها في الغالب تكون لها تفسير ومعنى، لذلك أطلقوا عليها الحاجة روحية الشوَّاف..

الشوَّاف لأنها ترى ما لا يستطيع أحد أن يراه غيرها من البشر بروحانياتها العالية، أمسكت هاتفها الجوال من فوق المنضدة فهي تحفظ مكانه عن ظهر قلب، وأعادت الاتصال لآخر رقم طلبته، فلم يكن بهاتفها أي أرقام سوى أرقام محددة، فالجميع ابتعد عن العجوز الغامضة العائدة من الموت بأعجوبة.

ولم يكن لها أحد سوى هؤلاء المخابيل الثلاثة الذين تعرفت عليهم في مسقط رأسها عندما حضروا لتحقيق في قضية سفاح القطط المهوس عادل ممدوح، وبعدها أخذوها معهم إلى القاهرة لمساعدتهم في إعادة الأرواح إلى مكانها وغلق تلك البوابات الزمنية التي فتحوها وإعادة أرواح السفاحين الذين خرجوا وقت تحضير إحدى الأرواح.

ولقد استأجر لها رأفت وهو أحد أفراد فريق الجمعية شقة صغيرة لتعيش فيها، وكانت الحاجة روحية تتعامل معهم كأبنائها وتحبهم، وتساعدهم وابتعدت عن الجميع، لمساعدة هؤلاء الشباب الثلاثة الذين في عمر أبنائها وهم رأفت، موسى وزينب.

وهم مجموعة من الشباب المُهتمين بالماورائيات والغرائب، و في أحد الأيام قرروا القيام بجلسة تحضير أرواح عن طريق الشيخ كرم الذي حضر لهم روح سفاح وفتح عليهم بوابات الجحيم، وحرر أرواح أكثر من روح سفاح ورفضوا الرحيل عن عالم الأرض قبل ان ينهوا ما بدأوا في عالم الأرض فمازالت أرواحهم عالقة، وكان هذا بسبب موسى وسرعتة المتهورة دوما، فلم يلتزِم بالشروط الخاصة بجلسة التحضير.

فأغضب روح السفاح، فقام بفتح بوابة بين عالمنا وعالم الأرواح الشريرة للقتلة المتسلسلين، ووقتها استعانوا بها لمساعدتهم، وأصبحت العجوز نقطة الإتصال بين العالمين عالم الأرواح وعالم البشر.

فروحية قد رأت الموت بعينيها وربما ماتت يومها ورحلت روحها لمكان آخر، قابلت من قابلت وتعرفت على من تعرفت وعادت للحياة من جديد مختلفة أكثر روحانية وحكمة في الحياة، فامتلكت تلك الصفة الشفافة لرؤية ما لا يستطع غيرها رؤيته عن عالم الأرواح والموتى أثناء نومها، أو موتتها الصغرى كما يسمونها، فالنوم هو الموتة الصغرى للإنسان يقابل من يشاء فيها من الأرواح.

وبعدها قرّرت الحاجة روحية مُساعدتهم من أجل الانتقام من روح القاتل الذي تسبَّب في فقدها لبصرها الدرفيل، هي تريد روح ذلك الوحش الكاسر، لذلك انضمت معهم لمساعادتهم لإرجاع أرواح السفاحين لعالمهم وترك الأرض، ومنذ انضمامها لهم وهي تعلم جيدا أن كل حلم تراه في منامها له صلة وعلاقة وطيدة بتلك الأرواح الشريرة التي خرجت بالخطأ للأرض، وكل حلم هو مصيبة جديدة وتحرير روح شريرة لعالم الأرض مرة أخرى، فهي كقرون الإستشعار للخطر والحوادث من قبل أن يعرف عنها أحد.واليوم قد رأت رؤية بشعة للكثير من الأجساد، وهي متأكدة بأن هناك سفاح طليق، يقتل ويسفك الدماء ولا أحد يعرف عنه شيء، ولابد من إخبار أفراد الجمعية بالأمر، فبسبب خطأهم الفادح الجميع في خطر، وربما هي أكثر شخص حياته مهددة وفي خطر فهل هي روح الدرفيل الذي حاول قتلها يومها منذ سنوات و لكنه فشل، هي لم تر له ملامح ولكنه كان عبارة عن ظل أسود يتحرك بسرعة كبيرة، والكثير من الأجساد الدامية والأياد المقطوعة والكثير من الدماء في كل مكان.

كانت تشعر بالألم الشديد وتلك الوخزة فى قلبها، تشعرها بأن

هناك شيء شرير حدث وطاقة سلبية متشبعة في الجو، فالروحانيون يشعرون بتلك الذبذبات والطاقات السلبية أكثر من غيرهم، أعادت اتصال الهاتف من جديد، وسمعت من الطرف الاخر صوت نائم يقول:

_ الحاجة روحية هل أنت بخير؟

ردت بصوت متقع متوتر قائلة:

_ هناك خطر شديد يا أبو المكارم، ألم تشعر به من حولك يا ولدي، أنا أنتظركم في المنزل، وهنا نظر موسى ببلاهة وهو يفرك عينيه إلى ساعة الهاتف الجوال لقد كانت الساعة السادسة صباحا، هز رأسه بغضب وهو يقول:

_ انتظري حتى نستيقظ يا حاجة روحية فمازال الوقت مبكرا، وكنا نسهر أمس حتى الثالثة فجرا في المطعم ولكنها كانت قد أغلقت الهاتف، حتى لا تسمع تلك الجملة منه فهي تعرف جيدا بأنهم كانوا معا حتى وقت متأخر من ليلة أمس في المطعم الذي يديرونه معا هم الثلاثة، وتعرف أبو المكارم وحبه للنوم والراحة، ولكن رغم ذلك يعتبر موسى هو الأقرب إليها في المجموعة، ربما هو ليس أذكى شخص في العالم، و لكنه شجاع ومقاتل فريد ولا يهاب شيء، يحل الأمور بذراعه في البداية ثم يفكّر بعدها، أوقات كثيرة يؤدي تهوره الشديد وتعامله مع الأمور بقوة لحل المشكلات، وأحيانًا يورِّط الفريق كله في مزيد من المشاكل، لديه حاسة سادسة يعرف بها الكثير من الأمور الخفية، هو نفسه لا يعرف مصدر تلك الحاسة السادسة، فأحيانا يستطيع أن يقرأ أفكار شخص ما، وأحيانا يرى ويتوقع المستقبل في أوقات كثيرة.

ولكن هذه القدرة دائمًا ما تأتيه منقوصة وبشكل غريب لا يفهمه سوى روحية.

لتكملـه لـه لذلـك هـما الإثنـان يكمـلان بعضهـما البعـض وحدسـهما لا يخطــىء في الكثـير مــن الأحيــان فأبــو المــكارم يــرى المســتقبل وأشــياء كثـيرة تحـدث.

لذلـك تحـب أن تتواصـل بـه هـو أولا لأنهـا تعـرف بأنـه سـيعرف وسـيحس بمـا سـتقول، جلسـت الحاجـة روحيـة عـلى المقعـد وهـي تلـف رأسـها بشـالها الأسـود لتـداري ذلـك الكـسر الواضـح وبشـاعته وهـي تحـاول أن تركـز في تفاصيـل رؤيتهـا لعلهـا تخـرج بـشيء مفيـد يفيدهـا في تلـك القصـة.

***

جلـس مـوسى عـلى الفـراش وهـو يشـعر بالضيـق الشـديد فهـو يريـد النـوم الآن ويشـعر بالإرهـاق الشـديد والتعـب، لكنـه يعلـم أيضـا أن أحـلام روحيـة ورؤيتهـا حقيقـة مؤلمـة ولا يسـتطيع أن يتجاهلهـا، ولا ينكـر هـو أيضـا يشـعر بشـعور سيء منـذ ليلـة أمـس يشـعر بانقبـاض في الصـدر والضيـق الشـديد، هـز رأسـه وقـام بالاتصـال بصديقـه رأفـت، وقـال لـه بعصبيـة:

_ رأفـت.. ارتـد ثيابـك وقابلنـي أسـفل منزلـك خـلال عـشر دقائـق سـأمر عليـك بالسـيارة هنـاك مصيبـة جديـدة، والحاجـة روحيـة تريـد رؤيتنـا، اتصـل بزينـب وأخبرهـا أن تـأتي لنـا عنـد منـزل الحاجـة روحيـة، فيبـدو الموضـوع خطـير جـدا، وبعدهـا أغلـق الهاتـف حتـى لا يسـمع شيء فلـم يكـن يريـد سـماع أي شيء، ولم يكـن في حالـة مزاجيـة تسـمح لـه بـأن يتحـدث مـع أحـد في تلـك اللحظـة، وهـو يعـرف بـأن رأفـت رغـم ذكاءه الشـديد إلا أنـه قليـل التركيـز ولابـد مـن إعـادة الـكلام أكـثر مـن مـرة حتى يسـتوعبه، و رغـم ذلـك يسـتطيع تحليـل أمـور هامـة وغـير ملحوظـة للجميـع، وهـذا يفيدهـم في مسـارح الجريمـة دومـا، فهـو يحلـل مسـارح

الجريمة سريعًا ويصل لحلول غير متوقعة يساعد بها الفريق كله.

تثائب رأفت كثيرا ووضع رأسه على الوسادة من جديد، كان يود النوم فهو يشعر بالإرهاق الشديد والتعب ولكنه تذكر موسى بعصبية، فربما جاء ولكمه في وجهه بقوة ليحوله للحم مفروم، نهض بتكاسل وهو يهرش في شعره وسار إلى دورة المياة حتى يغتسل سريعا، ويرتدي ثيابه بسرعة، وبعد الإنتهاء تذكر بأنه لم يتصل بزميلتهم الثالثة زينب الراعي، زفر بغيظ وهو يردد:

_ لماذا يطلب مني موسى الاتصال بزينب لماذا لم يتصل هو بها ويريحني، فلن ترد بسهولة على الهاتف أعرف، فلن تستيقظ إلا بعد سنين ؟

اتصل بها ومن أول رنة فتحت الخط وسمع صوتها الناعس يقول:

_ ماذا تريد يا رأفت في هذا الوقت؟

ابتسم رأفت بسماجة وقال بدهشة:

_ لا أصدق أن تستيقظي مبكرا أيتها الحمقاء فماذا حدث؟

ردت زينب بغيظ وهي تقول:

_ ومن أخبرك بأنني نمت من الأساس أيها البدين؟

رد رأفت بدهشة:

_ هل مازلت مستيقظة من أمس يا زينب ولم تنامي بعد يا مجنونة ستجنين قريبا؟

ردت بإرهاق وهي تتثائب بكسل:

_ نعم يا رأفت لم أنم بعد فذلك اللزج حسنين ابن خالتي كان يتحدث معي ويحكي لي عن بعض الأمور الخاصة بعمله وأنا أضطر لسماعة مرغمة، ضحك رأفت بسماجة وهو يردد:

_ هل بدأ قلبك يدق له يا زينب وستوافقين أخيرا على الارتباط بذلك المتعوس سيء الحظ، زفرت بغيظ وهي تردد بصوت عالي:

_ اخرس يا رأفت ولا تضايقني، فأنت تعرف بأنني لا أطيقه ولكنني أضطر أن أتحمل ثقل ظله وسخافته من أجل ما فعلناه لنحل المشكلة، و حتى ننهي تلك المسألة ونصلح ما فعلناه فأنت تعرف جيدا بأن حسنين هو من يساعدنا ويمدنا بالمعلومات عن الملفات الغامضة من الأرشيف، فلا تنسى ما أفعله من أجلكم يا أحمق ولا تضايقني، فأنا أشعر بالذنب كل مرة، عندما أعطي الأمل الزائف لذلك التعس، وأنا لا أكن له أي مشاعر حقيقية بل كلها بغض وكراهية.

لم يرد رأفت لأنه يعرف ما تعانيه داخليا من شعورها بالذنب لاستغلال مشاعر الرجل وإحساسها بالذنب والمسؤلية لما يحدث من جرائم قتل وإزهاق للأرواح الأبرياء بسببهم وهي في النهاية فتاة رقيقة لا تتحمل الضغط، ولن يضغط عليها أكثر من ذلك حتى لا تنفجر الفتاة في وجهه.

فهي عضو هام جدا في الفريق وفعال ولها تأثير كبير وربما هي الأهم بالفريق كله فهي مصدر المعلومات وفريق الاستخبارات، رغم أنها فتاة متوسطة في كل شيء، لكنها تفيد الفريق عن طريق ابن خالتها الذي يحبها كالمجنون وينصاع لما تقوله بلا تفكير ولا عقل، فيسمح لها بمعرفة تفاصيل ملفات إحدى الجهات الحكومية التي يعمل فيها، ويخبرها قصص الملفات الخاصة بالقضايا القديمة بالأرشيف الذي يحفظه عن ظهر قلب نتيجة عمله فيه، وكل هذا مقابل ابتسامة رضا فقط منها ونظرة دلال، رغم أنها فتاة متوسطة الجمال والملامح ولكن مرآة الحب عمياء كما يقولون، فالشاب يعشق الفتاة بجنون كما كان يعشق قيس ليلى وعنتر عبلة، ويخبرها

كل شيء وتقوم دوما بحل ألغاز وشفرات أحلام روحية الشواف وتصل دوما لحل الكثير من الرموز وفك شفراتها.

قال رأفت بجمود وآلية:

_ ارتد ثيابك سريعا وأراك عند الحاجة روحية في الحال يا زينب فيبدو أن هناك روح جديدة تحررت، والحاجة روحية تريدنا الآن فالموضوع خطير ولا يتحمل التأخير، وداعا..

وبعدها أغلق الهاتف حتى لا يسمع تزمرها واعتراضها على ما قال، فلم يكن هناك وقت للنقاش، زفرت هي بغضب ولكنها ذهبت لترتدي ثيابها، فهي تعلم بأن الحاجة روحية أحلامها دوما صائبة، وهناك الكثير من أرواح الأبرياء مهددة وفي خطر كبير وكل هذا بسببهم وبسبب جلسة الأرواح الخاطئة التي قاموا بها يومها.

***

(٣)

جلس الثلاثة أمام الحاجة روحية يستمعون لها بأهتمام، قصت عليهم ما شاهدته وتلك الجثث الكثيرة للرجال والنساء على الضفتين، استمعوا لها بتوتر وهم يحتسون أقداح القهوة، أشعل موسى سيجارة وأخذ ينفث دخانها بعصبية كبيرة،فما تقوله العجوز شيء مرعب وبعد الانتهاء من الرؤية نظروا لها، وهم ينظرون بعضهم لبعض، فقالت زينب بتوتر:

_ هل تتذكرين عدد الجثث يا حاجة روحية؟

_ لا أعرف و لكن أعتقد بأنهم كانوا أكثر من عشرين في كل صف، فالصف كان طويلا يا بنيتي !

سأل أبو المكارم بتوتر:

_ وهل كلهم كانوا أموات؟

ردت الحاجة روحية بشرود:

_ نعم الجميع كانوا أموات وبلا روؤس يا ولدي ومع ذلك لم تقطع إلا أيادي الرجال وأصابعهم في الرؤيا، لم تلتفت الروح لجثث النساء وربما كانت النساء على قيد الحياة ونائمات فقط لا أعرف.

قاطعها رأفت وهو يضع قدح القهوة قائلا:

_ ربما لم يعجب القاتل بالأيادي الناعمة لسبب ما، وهنا ضحك موسى بعصبية وهو يطفأ عقب سيجارته في مكانها وهو يردد:

_ لا أعرف بدون ذكائك أيها البدين ماذا كنا سنفعل اليوم؟

قاطعتهم زينب وهي تهز رأسها بلا، فليس هذا وقت ولا مكان للشجار والشد والجذب فقالت:

_ ربما القاتل يقتل الرجال فقط دون النساء ولكن لما ظهرت جثث الفتيات بالرؤية هناك سبب لذلك.

قاطعتهم روحية وهي تقول:

_ ولكن أنا أشعر بأن تلك المرة ليست روح قاتل أبدا.

نظروا لها بدهشة وقال رأفت:

_ لا أفهم ماذا تعنين يا حاجة روحية بأنها ليست روح قاتل؟

ردت هي بشرود:إنها روح قاتلة هذا ما أشعر به.

صمتوا جميعا وهم ينظرون لها بدهشة وهل هناك سفاحين وقتلة متسلسلين نساء في مصر.

رد موسى قائلا:

_ ولكنني لم أسمع عن قتلة متسلسلين من النساء في مصر القرن الماضي.

فقالت زينب بغيظ:

_ تحتاج الذهاب لطبيب إذا يا أبو المكارم، ألم تسمع عن ريا وسكينة، فالنساء تستطيع فعلها إن أرادت ياعزيزي لن يوقفهن شيئا..

قاطعهم رأفت قائلا:

ولكن ريا وسكينة كانوا جماعة إجرامية ومعهم رجال لمساعدتهم في التخلص من الضحايا، هم لم يفعلوا شيئا بأيديهم كان الرجال هم من يقومون بعمل كل شيء من قتل ودفن، كانت ريا وسكينة تسحبان النساء فقط، ولكننا هنا نتحدث عن قاتل واحد ارتكب العديد من الجرائم بمفرده ولم تكتشفه الشرطة لذكائه وقوته، ولا أعتقد أن يكون القاتل امرأة أبدا، فالنساء معروف عنهن الرقة

والوداعة ولن يستطعن فعلها. صاحت زينب مرددة بعناد: ولكنهن إن أردن فعل شيء لا يوقفهن أحد ويستطعن العمل في أي مجال، أنت لا تعرف قوة المرأة!

قاطعها موسى ساخرا:

_ تتحدثين وكأنهن سيعملن في السلك الدبلوماسي وليس في القتل والتقطيع وتمزيق الجثث يا زينب، فهن فاشلات في... وهنا قاطعتهم الحاجة روحية بغضب قائلة:

_ ألا تكففن دوما عن تلك السخافات ألا تشعرون بالخطر بسبب فعلتكم يا حمقى، أنا أشعر بأنها روح امرأة وليست رجل تلك المرة لا أعرف لماذا، فطريقة سيرها كانت مختلفة وحتى طريقة نظراتها للجثث، أقسم لكم بأنها ليست روح رجل أبدا، وإن كان ما أشعر به صحيح فالقادم أسوأ وأشد سواد، فالمرأة عندما تفقد آدميتها وتتحول لأداة للقتل تكون أكثر قسوة وبشاعة من ألف رجل، لأنها وقتها ستفعل كل شيء بدهاء ولن تترك التفاصيل الصغيرة التي دوما ترشدنا لمعرفة روح القاتل وما تخفيه عن الجميع.

_ ماذا تقصدين يا حاجة روحية لا أفهمك اليوم! هكذا قالت زينب بتعجب.

قالت روحية باقتضاب:

_ ما أقصده هو أن القادم أسوأ مما تظنون بكثير، لأنني أعتقد بأن تلك الروح عادت وقامت بقتل العديد من الأبرياء، فأنا أشعر بتلك الطاقة السيئة والسلبية تملأ الهواء.

قال موسى بحيرة:

_ ولكنني لم أسمع بأي خبر لجرائم قتل في اليومين الماضيين، فكما تعرفون أنا أتابع كل الأخبار بصورة يومية ولم أسمع أي خبر عن جرائم قتل غريبة حدثت الفترة الماضية. ردت روحية:

ولـن تسـمع يـا أبـو المـكارم أي خـبر في الصحـف والجرائـد، لأننـي أعتقـد بـأن طـرق القتـل تلـك المـرة أكـثر بشـاعة مـن أن يتـم الإعـلان عنها بـدون معرفـة القاتـل، حتـى لا يثـيروا الرعـب والفـزع في نفـوس النـاس يـا ولـدي.

صمتـوا جميعـا وهـم ينظـرون للحاجـة روحيـة أن تكمـل، فـما تقولـه منطقـي جـدا ولكـن كيـف سـيعرفون، أكمـت الحاجـة روحيـة وهـي تقول:

_ زينــب أنــت الوحيــدة التــي تســتطيع أن تعــرف، عــن طريــق حســنين ابــن خالتــك، لــنرى بعــد ذلــك مــن أيــن ســنبدأ.

فقالت زينب بفتور:

_ ماذا تريدون أن تعرفوا؟

_ اسـأليه هـل هنـاك أي جرائـم قتـل حصلـت تلـك الأيـام والشرطـة تخفــي الأمــر، هــو يســتطيع أن يســتعلم مــن خــلال أصدقائــه بــوزارة الداخليـة مـن الشرطـة فلـه الكثـير مـن المعـارف يـا ابنتـي، وبعدهـا نقـرر مـن أيـن سـنبدأ.

أكمل رأفت بشرود:

_ واسـأليه بالأخـص عـن جرائـم قتـل لعرسـان، لأن ارتـداء الجثـث لثـوب الزفـاف وبـزات الفـرح ليـس صدفـه عـلى مـا أظـن.

_ هـذا مـا أظنـه أنـا الأخـرى يـا ولـدي، فلـكل شيء تفسـير وسـبب في أحلامـي أعـرف ذلـك ودلالـة لـشيء أخـر، ردت زينـب بآليـة:

_ سـأتصل بـه وأعـرف كل شيء ولكـن ليـس الآن فالوقـت مبكـر، وسـوف أخبركـم كل شيء عـصرا عندمـا نلتقـي في المطعـم.

وبعدهـا رحـل كل منهـم إلى بيتـه وهـو يفكـر في الأمـر وقـرروا أن يجمعـوا معلومـات ويبحثـون في الأخبـار مـن جديـد ربمـا عـثروا عـلى شيء جديـد وبدايـة الخيـط الـذي سـيدلهم عـلى روح القاتـل الجديـد، حتـى يلتقـوا في المطعـم الـذي يديرونـه هـم الثلاثـة وتلـك الغرفـة السريـة التـي

يجلسـون فيهـا معـا يشـاهدون أفـلام الرعـب ويتحدثـون...

***

اتصـل مـوسى بزينـب عـلى هاتفهـا الجـوال ليخبرهـا بأنهـا لابـد أن تحـضر في الحـال إلى منـزل الحاجـة روحيـة الآن فكلهـم في انتظارهـا قبـل الذهـاب للمطعـم، أخبرتـه بأنهـا لم تتصـل بحسـنين بعـد، فأخبرهـا بـألا تتصـل حتـى تحـضر إليهـم أولا، حاولـت أن تفهـم مـا الـذي حـدث خـلال الثـلاث سـاعات التـي نامـت فيهـم ولكـن أبـو المـكارم لم يمهلهـا الوقـت الـكافي بعصبيتـه المعهـودة، وأغلـق الهاتـف.

غسـلت زينـب وجههـا ولحسـن الحـظ كانـت مازالـت بملابسـها لم تبـدل ثيابهـا بعـد، مشـطت شـعرها سريعـا، وتناولـت قـرص مسـكن للصـداع وغـادرت المنـزل أمـام دهشـة والديهـا فلـم تنـم جيـدا.

قالت باقتضاب:

_ عمل هام بالمطعم..

وبعدهـا أغلقـت بـاب الشـقة ولم تنتظـر أي رد منهـم، اسـتقلت سـيارة أجـرة مـن أمـام المنـزل وهـي تشـعر بالإرهـاق الشـديد، وصلـت لمنـزل روحيـة وكانـوا جميعـا في انتظارهـا وكان يبـدو عليهـم الوجـوم، فعرفـت بـأن مصيبـة قـد حدثـت، فقالـت لهـم:

_ كم شخص قتل؟

رد موسى بعصبية:

_ أربعة اشخاص، ثلاث عرسان وعروسة في ليلة زفافهم؟

ردت زينب بذهول:

_ عرسان في ليلة زفافهم وكيف عرفتم؟

رد رأفت:

خـبر ناقـص في أخبـار اليـوم عـن مقتـل عريـس وعروسـة ليلـة زفافهـم في منطقـة شـعبية، كتبـه صديـق قديـم وعندمـا اتصلـت اسـتفسر منـه أخـبرني القصـة وأمـر العريسـين الآخريـن قبلهـما بيومـين ولكـن الشرطـة طلبـت عـدم نـشر أي خـبر عـن الحادثـين لبشـاعتهما حيـث أن الحـادث الأول وقـع في فنـدق شـهير لرجـل أعـمال شـهير، والعريـس ابـن أشـهر رجـل ثـري بالبـلاد ومازالـت العروسـتان في حالـة صدمـة وغيبوبـة، لم تسـتفيقا منهـا بعـد.

قاطعته زينب بتعجب:

_ ولمـا نـشروا الخـبر الأخـير لا افهـم مادامـت الحـوادث بشـعة كـما تقـول؟!

رد رأفت بآلية:

لأن الزوجـين ميتـان، العريـس والعروسـة فارقـوا الحيـاة في آخـر مذبحـة للسـفاح، ومـكان الحـادث في مـكان شـعبي وشـهد الواقعـة الكثـير مـن النـاس مـن سـكان المنطقـة الشـعبية، لأن العـروس قفـزت بثـوب الزفـاف مـن الشرفـة بالـدور الخامـس، فماتـت أمـام الجميـع، هـل تتخيلـين الأمـر؟! وحدثـت مشـاجرة ومشـادة بـين أهـل العريـس وأهـل العـروس، كل منهـم يتهـم الآخربقتـل إبنـه وتدخـل الجيـش لحـل النـزاع ومـات خـلال المشـاجرات سـبعة أشـخاص مـن اهـل العائلتـين، فـكان لابـد مـن كتابـة تفسـير لمـا حـدث للنـاس، لأن الكثـير مـن أشرطـة الفيديـو تـم رفعهـا عـلى اليوتيـوب، قاطعتـه زينـب:

_ إذا، لقـد مـات أحـد عـشر شـخصا وليـس أربعـة أشـخاص يـا رأفـت.

زفر موسى بغيظ وهو يرد:

_ نعـرف بأنهـم أحـد عـشر شـخصا ولكـن السـبعة ماتـوا نتيجـة الشـجار، وليـس لهـم دخـل في الموضـوع ولا في القصـة، هـل فهمـت؟

هزت رأسها بغباء محاولة الفهم واستيعاب ما يقولون، فقالت:

_ اخفض صوتك يا أبو المكارم أنا أحاول أن أفهم فلم أنم منذ يومين سوى ثلاث ساعات متقطعة، وأشعر بالصداع الشديد.

رد رأفت ساخرا:

_ وهل نحن من جعلناك تسهرين على الهاتف تتحدثين مع حبيب القلب؟

زفرت بغيظ وهي تنظر له نظرة نارية غاضبة:

_ اخرس يا رأفت وإياك أن تكمل فليس هذا وقت سخافات وكلام ليس له داع، فأنت تعرف بأنني لا أطيق حسنين هذا ولزوجته ولكنني أتعامل معه من أجل مصلحة الفريق، فلا تجعلني أقطع علاقتي به ووقتها ستندمون.

وهنا قالت الحاجة روحية بصوتها الهادىء الحكيم وهي تحكم شد الشال ولفه فوق رأسها لتداري ذلك الجرح الغائر:

_ ألا تخجلون من أنفسكم تتشاجرون كالصبيان وهناك قاتل طليق يحصد أرواح الموتى بلا أي رحمة، وأنتم السبب في موت كل هؤلاء الأموات والأرواح البريئة؟

قامت بعدها الحاجة روحية وهي تزفر بضيق مكملة حديثها بضيق :

_ سوف أعد لكم الشاي ربما هدأت أعصابكم يا حمقى..

نظر أبو المكارم إلى زينب بغيظ وقال بعصبية:

_ أعتذر منك يا زينب لم أكن أقصد مضايقتك.

زفرت بغيظ وهي تشيح وجهها:

_ لا عليك، ولكن أخبروني ما الصلة بين الجثث الأربعة؟

الثلاثة رجال نالوا نفس طريقة القتل والتعذيب، قطع اليدين واختفاءها، وحرق الجزء السفلي من الجسد بمادة غريبة فشل

الطب الشرعي في معرفة ماهيتها حتى الآن، وذبح وقطع في الوريد الودجي للرقبة وعلامة على الصدر محفورة بجملة «سأفعل ما تريدون - سأعود إليكم» وبقر البطن وخروج الأحشاء وأعتقد تم استخراج بعض الأجزاء الداخلية من جثث الضحايا.

_ وماذا عن الجثة الرابعة يا أبو المكارم؟

_ أعتقد بأنها ألقت بنفسها من الشرفة فزعا من شيء ما فلم تصب جثتها بأي شيء، ماتت إثر الصدمة والسقوط على الرأس في الشارع من الدور الخامس وتحطم في الجمجمة.

_ إذا القاتل تلك المرة يحتفظ بالأيدي كما رأت الحاجة روحية في منامها كتذكار من الضحايا، ولكن لم اليدان لا أفهم؟

وهنا قاطعها رأفت قائلا:

_ وإن كان كلام الحاجة روحية صحيح، فسنكثف بحثنا عن روح قاتلة متسلسلة تلك المرة وليس روح قاتل، قاتلة تقتل الرجال وتقطع أيديهم وتفصل رقابهم وبعدها تمثل بجثثهم.

وفي تلك اللحظة دخلت العجوز وهي تحمل أكواب الشاي وكادت تتعثر فتسقط على وجهها، فقام رأفت مسرعا وأخذ من بين يديها أكواب الشاي الساخن.

وجلسوا ليتحدثوا عن حالة الجثث وكيف وجدوها مشوهة، فلم تترك روح الشر شيئا إلاوفعلته بهؤلاء المساكين كماأخبرهم الصحفي ، فشعروا جميعا بالتقزز والرغبة في الصمت وعدم الحديث تلك المرة، فقطع صمتهم صوت زينب وهي تقول:

سأرحل الآن وعندما أعرف ما عند حسنين سأتصل بكم.

ردت روحية بقلق:

_ ولماذا لا تجلسي ونتحدث يا ابنتي فمازال الوقت مبكرا لميعاد ذهابك للمطعم!

_ لا أستطيع يا حاجة روحية فأنا أشعر بالصداع الشديد والرغبة في النوم والراحة، وليس هناك كلام جديد سنضيفه فلقد تسببنا في تحرير روح وحش كاسر يجتز الرؤوس والأعناق، ولا يكتفي بذلك بل يستمتع بحرق أجسادهم أمام أعينهم أولا وبعدها يقطع أيديهم ولن أستبعد أنه كان يفعلها وهم أحياء أيضا، قبل أن ينحر رقابهم ليستمتع بعذابهم وآلامهم، لا أريد أن اتحدث بالأمر أريد الهدوء والراحة واستنشاق بعض الهواء النظيف بعيدا عن كل ما نحن فيه من دماء وجثث.

أخذت حقيبتها ورحلت أمام أعينهم وتركتهم في وجوم يشعرون بالذنب لموت تلك الأشخاص وهم في أسعد أيام حياتهم في يوم زفافهم.

***

(٤)

وصلت زينب منزلها وكانت منهكة فأبدلت ثيابها وأخذت حمام دافىء وتناولت شيء خفيف وأغلقت هواتفها الجوالة، وقررت النوم أربع ساعات على الأقل، لتستطيع المواصلة والتفكير في تلك القضية بهدوء وجسد مستريح ولن تسمح لأحد بأن يزعجها مهما حدث، نبهت على أمها بألا تفعل مهما حدث فلا توقظها من النوم فلن تذهب للعمل اليوم في وردية الصباح بل ستذهب في وردية المساء.

أرسلت رسالة قبل الدخول إلى الفراش وقبل غلق الهاتف الجوال لإبن خالتها حسنين، لتخبره بأنها تريده في شيء هام، فليتصل بها في تمام السابعة مساءا حين تكون استيقظت، وهنا سمعت الكثير من الأصوات العالية من حولها فهمست بتوتر ممتزج بالألم:

_ ما تلك الضوضاء الشديدة لا أفهم لقد أخبرتهم ألا يزعجوني مهما حدث، وهنا تسمر جسدها على الفراش وهي تنظر لأعلى بعيون مذعورة، لقد أخذ مصباح الغرفة يهتز وينطفىء ويضيء من تلقاء نفسه كثيرا مصدرا صرير عالي جدا ومزعج، حتى شعرت زينب بالخوف وبأنه سوف ينفجر فوق رأسها، فأغمضت عينيها وهي تصرخ كانت لا تدري ماذا حدث بالظبط فهل علمت الروح بأمرها.

كانت تشعر بأن كل شيء بالغرفة ينقلب على الأرض ويتساقط بغضب وكأن هناك من يلقيه بعنف في وجهها، كانت تشعر بالأشياء تصطدم بها أخذت تصرخ بهيستريا حاولت النهوض من فوق الفراش، ولكن لم تستطع فهناك من يمنعها، ويمنع صوتها من الخروج من حلقها، ففتحت عينيها وأخذت تنظر بهلع كبير إلى ما يحدث أمامها

دون أن تتكلـم .

وجـدت الكـراسي ترتفـع عاليـة أبـواب خزانـة الملابـس تفتـح مـرة واحـدة، وتقـذف الثيـاب في وجهها وكأن هنـاك مـن يوجـد داخـل الخزانـة ويلقـي الثيـاب في وجههـا، وهنـا صرخـت بهيسـتريا وخرجـت الصرخـات مـن حلقهـا الجـاف عاليـة مجلجلـة وبعدهـا فقـدت الوعـي لا تتذكـر مـاذا حـدث وهـل حقـا خزانـة الملابـس مرفوعـة عـن الأرض وتـأتي وهـي تسـير نحوهـا بقـوة أم أنهـا تتخيـل الأمـر فقـط.

فتحـت زينـب عينيهـا بعـد دقائـق عندمـا شـعرت بالهـدوء مـن حولهـا والسـكينة، وهـي تشـعر بـالألم الكبـير في كل ذرة مـن جسـدها حاولـت أن تنظـر لجسـدها، ومصـادر الألم ولكنهـا شـهقت رعبـا مـن هـول مـا رأت لقـد رأت نفسـها عاريـة تمامـا مـن الثيـاب وكل جسـدها ملفـوف بسـلك رفيـع والسـلك ضاغـط عـلى كل خليـة مـن خلايـا جسـدها بقسـوة لدرجـة أن هنـاك أجـزاء مـن جسـدها تنـزف الدمـاء، كانـت ملفوفـة كالشرنقـة بالسـلك النحـاس الرفيـع، إن الألم بشـع والأبشـع بأنـك لا تعـرف لـه نهايـة ومتـي سـيتوقف، ولا أيـن أنـت مـن الأسـاس ومـن أحـضرك لذلـك المـكان، حاولـت لـف رأسـها لرؤيـة أيـن هـي ومـاذا يحـدث؟

كانـت تبـدو فـوق كوبـري مـن الخشـب فهـي تـرى البحـر مـن بعيـد أو النيـل لا تعـرف ولكـن هنـاك ميـاه كثـيرة، كان الـشيء يتحـرك بهـا وكانـت هـي مقيـدة لا تسـتطيع الخـلاص وفـك قيودهـا، حتـى فمهـا كان مقيـدا ببعـض الأسـلاك كلـما حاولـت فتـح فمهـا كلـما اشـتد ضغـط الأسـلاك الرفيعـة عـلى فمهـا قسـوة وقـوة.

كان القلـب يـدق بعنـف فزعـا وهلعـا والجسـد يرتجـف ألمـا، والعيـون زائغـة تـدور باحثـة عـن الخـلاص لا تعـرف مـا الـذي يحـدث والأرض تتحـرك مـن تحتهـا وهـي نائمـة كالجـوال عـلى الأرض، ليـس لهـا

حـول ولا قـوة.

أخـذ الـشيء الخشـب يتحـرك بهـا يبـدو أنـه كوبـري لسـيارات ومـارة ولكنـه متحـرك وليـس ثابتـا، أخـذ الكوبـري يقـترب مـن النهايـة يبـدو أنـه سيفتح للـمارة، كانـت تمـوت ببطـيء، ولكـن عقلهـا يفكـر هـل ستجد مـن يخلصهـا مـن ذلـك العـذاب البشـع هـل سـتموت الآن لترتـاح في ذلـك المـكان الغريـب الـذي لا تعـرف أيـن هـو ومـن أحضرهـا إليـه وفعـل بهـا ذلـك.

هـل هـي روح القاتـل التـي حرروهـا يومـا بالخطـأ، أخـذت تتذكـر جلسـة تحضـير الأرواح التـي قامـوا بهـا هـي وأصحابهـا رأفـت ومـوسى، ومـا حـدث وكيـف جلبـوا الـشر لعـالم البـشر، كيـف تدخلـوا فيـما لا يعنيهـم.

لا يعرفـون مـا حـدث يومهـا، إن عـام ٢٠٢٠ هـو عـام غريـب أصـلا مـن بدايتـه، وتحـدث فيـه الكثـير مـن الأمـور الغريبـة والظواهـر التـي ليـس لهـا تفسـير، فهـل تشـابه الرقمـين واجتماعهـما هـو السـبب، فـما الـسر في ذلـك العـام الغامـض، ولم يسـتطع أحـد تفسـيره،الكثير من الأشـياء الغريبـة حدثـت هـذا العـام وحتـى الآن مازالـت تحـدث ومنـذ شـهور يجنـون هـم ثمـرات غلطـة ارتكبهـا أحدهـم بالخطـأ.

تذكـرت كل هـذا وجلسـة تحضـير الأرواح وأول جلسـة حـضروا فيهـا روح تذكـرت عـشرات المـوتى والجثـث الذيـن فارقـوا الحيـاة بسـبب شـغفهم للرعـب والمغامـرة، كانـت تشـعر بالإختنـاق الشـديد والأسـلاك تشـتد عـلى جسـدها بقسـوة أكـبر والضغـط يزيـد ويزيـد، والكوبـري يهبـط لأسـفل بتمهـل تـرى البحـر الواسـع أو النهـر مـن بعيـد هـي تعـرف بأنـه نهـر فـالأراضي الزراعيـة منتـشرة عـلى الأفـق مـن بعيـد والأشـجار الخـضراء العاليـة تبـدو لهـا كالريـف. كانـت تفكـر في القـادم والنهايـة فهـي تعـرف بأنهـا نهايتهـا لا محالـة وتتسـاءل لمـاذا يحـدث لهـا كل ذلـك،

فـما الـذي فعلتـه ؟!

هبـط الكوبـري وهنـا انفتحـت فجـوة سـوداء في السـماء، كانـت كالإعصــار أو الدوامــة مــن فوقهــا تكونــت مــن الأرض إلى الســماء، إن المنظـر جلـل خرجـت تلـك الأشـياء السـوداء كانـت تبدوكالوجـوه المفرغـة مكونــة مــن حبيبــات وذرات الرمــاد الأســود،كانت تتشــكل وتســبح في الفـراغ، وتخـرج مـن تلـك الدوامـات ومـع تداخـلات الهـواء و تخـرج مـن الإعصـار وتبتعـد عنـه وكأنـه يقـذف بهـا للخـارج، أو رحـم يخـرج مـا بداخلـه مـن أجنـة، كادت تمـوت وقلبهـا يتوقـف أغمضـت عينيهـا بفـزع وعنـما شـعرت بتلـك الوخـزات كالإبـر فتحـت عيونهـا بذعـر، وهنـا رأت ذلـك الـشيء الأسـود الـذي تجمـع مـن تلـك الوجـوه السـوداء وهـو يندفـع نحوهـا، كانـت هيئتـه تبـدوا كأمـرأة مجنونـة تركـض بثـورة، ولكنـه كان كتلـة مـن الدخـان الأسـود اندفعـت نحوهـا بسرعـة هائلـة، هـل تلـك الدائرتـين الحمراويتـين مـكان تجويـف العـين هـما عينيهـا في الحقيقـة، لم تسـتطع ولم تتحمـل زينـب كل هـذا، فأخـذت تحـاول الـصراخ وهـي تـرى الـشيء يقـترب منهـا مسرعـا، أدارت وجههـا لعلهـا تجـد مـن ينقذهـا مـما سـيحدث لهـا وهنـا شـاهدت ذلـك المتجـر الكبـير، إن إسـمه غريـب كانـت لوحتـه مضيئـة ومنـيرة بتلـك الألـوان الزاهيـة ذكرهـا بـشيء، هـي تعـرف أيـن هـي، نعـم تعـرف الآن أيـن هـي لقـد كانـت هنـا مـن قبـل، قـرأت الإسـم الغريـب للمتجـر.

متجـر الـزوال هـي تعـرف المتجـر جيـدا لقـد زارتـه مـن قبـل، ولفتـت نظرهـا ألوانـه وأضوائـه وحتـى إسـمه الغريـب كان المتجـر يبيـع ثيـاب الأطفـال الصغـار وكل مسـتلزمات المولـد مـن ألعـاب وثيـاب وأشـياء، وسـألت يومهـا ابنـة عمهـا عـن الاسـم، فقالـت بأنهـا جديـدة هنـا ولا تعـرف معنـاه..

صرخت زينب بداخلها قائلة:

_ بني سويف! نعم أنا هنا في محافظة بني سويف ولكن كيف حضرت إلى هنا! كانت تنظر بذعر لذلك الشيء الأسود الذي يأتي مسرعا تجاهها، وعندما نطقت إسم بني سويف توقف الشيء وأخذ ينظر لها وازداد إحمرار عينيه، كاد قلبها يتوقف من شدة الرعب، وهنا أخيرا استطاعت الصراخ بكل قوتها والغريب لقد خرج صوتها عاليا في الفضاء ولقد سمعته بوضوح، تلك المرة شعرت بتلك الهزة القوية في كل جسدها أخذت تصرخ وتصرخ بلا توقف لعل أحد ينقذها مما هي فيه.

وهنا سمعت صوت يخترق داخلها بقلق قائلا:

_ استيقظي يا زينب إنه كابوس، فتحت عينيها مرة واحدة بعدم تصديق ونظرت لأمها وأبيها اللذين كانا يقفان فوق رأسها ويحاولان إيقاظها، كانت تشعر بالألم في كل خلية من خلايا جسدها، وكأن ما حدث كان حقيقي ولم يكن وهم ولا حلم أبدا بل حقيقي جدا ومرعب.

قالت بهلع:

_ أين أنا؟!

ردت الأم:

_ أنت بالمنزل يا زينب وكنت تحلمين، فلقد سمعنا صراخك أنا وأبوك فدخلنا لإيقاظك ولكنك كنت تصرخين ولا تستطيعين ترك حلمك والاستيقاظ منذ ربع ساعة نحاول إيقاظك يا زينب، فبماذا كنت تحلمين يا بنيتي؟

نظرت لهما بدهشة غير مصدقة حتى تستوعب ما يقولون.. ربع ساعة يحاولان إيقاظها من الكابوس.. إنه شيء غريب جدا..

فقالت زينب:

_ كم الساعة الآن يا أمي ؟

فقالت الأم بتوتر:

_ إنها الرابعة والنصف يا ابنتي.

رددت بدهشة:

_ الرابعة والنصف! فهل مرت ساعتان فقط! أشعر وكأنني مررت بشهور وليست ساعتين فقط، أشعر بالألم الشديد في كل خلية من خلايا جسدي!

نظر الأب بتوتر إلى ابنته الوحيدة زينب وقال بقلق:

_ هل أنت بخير يا ابنتي، نظرت له طويلا وإلى عيونه البنية وشعره الرمادي ولم ترد بل ابتسمت بألم، وتناولت كوب الماء من يد أمها وتجرعته مرة واحدة فلقد كانت تشعر بالعطش الشديد وهنا نظرت للكوب بين يديها وتذكرت كل شيء فصرخت بحماس مرددة بصوت عالي:

_ متجر الزوال، محافظة بني سويف، كل شيء بدأ من هناك.

رددت الأم بقلق:

_ ماذا تقولين يا زينب

_ لا شيء يا أمي لا شيء أرجوك أخرجي مع أبي أنا بخير فقط أريد الراحة قليلا قبل الخروج للعمل، نظر الأب لها بعدم فهم ولكنه خرج مع الأم، وأغلقا باب الغرفة خلفهما وأمسكت هي هاتفها لتتصل بموسى وتقول له:

_ أعتقد بأن ما نبحث عنه سيكون في محافظة بني سويف يا أبو المكارم.

_ ومن أخبرك يا زينب؟

ردت وهي تنظر إلى آثار الأسلاك على يديها وقالت:

_ رؤية غريبة جدا للروح يا أبو المكارم رأيتها وأعتقد بأن البداية بدأت في بني سويف، سأتصل بحسنين لأعرف منه المزيد

وسوف أقابلكم مساءا في تمام السابعة في المطعم لنعرف من أين سنبدأ.. ولكن أعتقد بأن الأمر لن يكون هينا أبدا وسهل.. ثق في.. هناك شيء غريب تلك المرة بالطاقة، شيء شرير ويريد تدمير العالم أجمع، وأتمنى أن نستطع السيطرة على الوضع..

أغلقت الهاتف وتركت أبو المكارم في دهشة من أمره فماذا تقصد زينب بكلامها يا ترى، عليه أن يفكر ويجمع معلوماته ولما لم يرى لمحة مستقبيليه عن تلك الروح تلك المرة، لما لا يستطيع رؤية شيء هناك شيء خاطىء تلك المرة حقا هو يشعر بذلك لما لا تتواصل معه الروح.

***

اتصل حسنين بلهفة في الوقت الذي قالت عليه زينب، وكان الشاب متحمسا جدا فهو يحب زينب بشدة، ولكنه يعرف أيضا بأنها تستغل عمله ومنصبه في وزارة الداخلية ، حتى تحصل على المعلومات والقصص الغريبة للقتلة من أجل الكتاب الذي تؤلفه، وتكتب فيه عن السفاحين المجهولين الذين ارتكبوا أبشع جرائم القتل في مصر، ولم يسمع عنهم أحد.

تريد أن تكون الحمقاء كاتبة مشهورة في الرعب، ولكن هل تعرف النساء كتابة الرعب!

فهن يخفن من خيالهن، ولا يقتنع عقله بأن الفتيات الرقيقات اللاتي تبكين لأقل سبب، تستطيع أن تكتب عن الرعب والقتل والدماء، والأشباح، ومن سيكتب عن الرومانسية ومشاعر الحب إذا والليالي الحالمة أسفل ضوء القمر للعاشقين! ولكنه مضطر لمساعدتها وإظهار إعجابه بما تفعل ومساعدتها حتى لو لم يقتنع بما تفعل من

الأساس. ولا يؤمن بما تفعل، أو حتى يصدقه ولكن مرآة الحب دوما عمياء لا ترى إلا ما تريد رؤيته فقط، وهو لا يرى سواها ولا يقتنع قلبه بأنثى غيرها. ولن يتردد في تقديم أي مساعدة تحتاجها، ربما يوما شعرت به وبحبه لها منذ الصغر ومنذ كانا طفلين يلعبان معا وهو يعشقها ويتمناها زوجة وحبيبة له، ولن تملأ قلبه أي أنثى غيرها بالكون، قالت زينب بفتور:

_ كيف حالك يا حسنين، وأخبار عملك؟

_ رد بلهفة بخير يا زيزي..

زفرت بغضب:

_ أخبرتك بألا تناديني بذلك الاسم ألا تفهم!

_ ولماذا يا زيزي فهذا الإسم كنت تحبينه!

فقالت بغضب:

_ كنت أحبه عندما كنا صغار يا حسنين، ولكن الآن لا أحبه ولا أحب أن يناديني أحد به هل فهمت فلا تضايقني؟!

شعر بالضيق فقال بفتور:

_ ماذا تريدين يا زينب لأن لدي الكثير من الأمور الآن؟

شعرت هي بضيقه فحاولت أن تبدو لطيفة حتى يعطيها ما تريد من معلومات، فبدونه لن تحصل على شيء، فقالت:

_ لا تغضب وتكون سخيفا فأنت تعرف بأنني أحب الحديث معك أيها الغبي ألم تفهم بعد.

فقال هو بلهفة:

_ حقا يا زيزي؟!

فتغاضت عن الأمر وقالت بفتور:

_ نعم يا حسنين.. والآن أريد منك شيء هام من أجلي ومن أجل الكتاب الذي أكتبه..

قاطعهاحسنين قائلا بفخر وزهو مفتخرا بنفسه:

_ تعرفين أنني أحتفظ في عقلي بقصص كل القتلة المتسلسلين والسفاحين في مصر والذين لا يعرف عنهم أحد شيء غيري، فأنا مسؤل الأرشيف لأهم ملفات وزارة الداخلية في مصر كلها، هل تتخيلين كل هذا محفوظ هنا في عقلي، وأشار إلى عقله وأطلق ضحكة ساخرة..

قالت زينب وهي تحاول أن تتمالك أعصابها أمام كلمات حسنين المستفزة وزهوه بنفسه وعمله والأرشيف الذي يحفظه عن ظهر قلب كلما لجأت إليه:

_ أعرف يا حسنين كل ذلك ولقد اختاروك لأنك تستحق هذا، فمن سيجدون غيرك يأتمنوه على تلك الأسرار العظيمة والخطيرة؟!

ازدادت ابتسامته اتساعا بزهو وفخر أكبر وقال وهو يتكأ أكثر على المقعد:

_ والآن يا زيزي أخبريني عن أي سفاح تريدين أن تكتبى تلك المرة، وأنا سوف أحكي لك قصته، فهناك الكثير من المخابيل فعلوا الكثير من الجرائم وأبشعها في بلدنا ولم يتحدث عنهم أحد بسبب بشاعة وشناعة الجرائم وما فعلوه ضد الإنسانية كلها، ولكنني أعرف قصصهم وخباياهم.

وهنا قالت:

_ بسرعة تلك المرة يا حسنين، أريد التحدث عن القتلة المتسلسلين من النساء، أريد قصة قاتلة قاسية القلب، ليس لديها أي مشاعر ولا رحمة قاتلة تفوقت على الرجال في العنف، على أعتى الرجال، وكانت تقتل الرجال وقبل قتلهم تعذبهم تحرقهم أو تذبحهم مثلا شيء من هذا القبيل، مثل السفاحة الأمريكية الشهيرة «إيلين

كارول» التـي كانـت تقتـل الرجـال فقـط ولا تقتـل النسـاء ولا الأطفـال لكرهھـا الشـديد لهـم لأن أبيهـا قـام باغتصابهـا عندمـا كانـت طفلـة، وبعدهـا جدهـا وتزوجـت الأم فقـام زوج الأم أيضـا باغتصابهـا والاعتـداء عليهـا فتولـدت لديهـا كراهيـة للرجـال فكانـت تقتلهـم بـلا رحمـة بعـد اصطحابهـم للغابـة.

صمت حسنين دقيقة يستمع لها وبعدها قال:

_ مـا سـوف أخـبرك بـه يـا زينـب خطـير جـدا، وينطبـق تحـت بنـد السريـة المطلقـة، فتلـك القضيـة كانـت بشـعة جـدا وقاسـية..

وهنا حاولت زينب أن تنصت وتستمع له باهتمام وهو يكمل:

_ وكأنك تتحدثين عن كتيبة الإعدام المدرعة ..

قالت زينب بضيق:

_ لا أريد كتيبة يا حسنين للقتل بل أريد قاتلة واحدة تقتل.

وهنا قال لها حسنين بتوتر:

_ أعـرف، لقـد أطلقـت عليهـا الشرطـة ذلـك الأسـم، فلقـد كانـت القاتلـة ككتيبـة الإعـدام حقـا والمدرعـة في القتـل والوحشـية بـلا رحمـة واسـتخدام كل طـرق التعذيـب حتـى الاحتفـاظ بأيـدي مـن قتلتهـم وتجميعهـا كذكـرى، , و التهـام قلـوب ضحاياهـا بسـادية ووحشـية، وبقـر بطونهـم..

وهنـا التفتـت زينـب بـكل حواسـها لكلـمات حسـنين وهـو يـردد جملتـه الأخـيرة «الاحتفـاظ بأيـدى مـن تقتلهـم بعـد تعذيبهـم»، وتأكـدت بأنهـا هـي، فتلـك السـفاحة هـي روح القاتلـة التـي تريدهـا.

فقالت بدلال كبير ولهفة:

_ هـل تخـبرني قصتهـا حبيبـي كاملـة حتـى أضمهـا لكتـابي، فأنـت تعـرف المنافسـة قويـة ولم يـترك الكتـاب الرجـال شيء للكاتبـات النسـاء تكتـب عنـه في الرعـب، وأريـد التميـز بينهـم.

لم يصدق حسنين بأن تناديه بحبيبي ولم يهتم بأي كلام قالته أصلا سوى حبيبي فقال بلا تردد:

_ سأخبرك كل شيء يا حبيبتي ونور عيني وروح قلبي، وكل ما أعرفه، ولكن تلك القضية ليست كاملة في الأرشيف، وعليك البحث عن باقي تفاصيلها.

لم تنطق زينب بكلمة بل كانت تريد أن تعرف المزيد من المعلومات عن المدرعة، أو كتيبة الإعدام، فهل ستتشابه مع قصة «مايكل مايرز» اشهر السفاحين؟، ولكنها لم تنطق وهي تستمع.

قال حسنين بعد أن أخذ نفس عميق:

_ لقد كانت المدرعة قاسية، وتقتل ككتيبة كاملة وتنفذ حكم الإعدام على من تعرفتهم من الرجال في ليلة زفافهم، وكان أغلبهم من الرجال الذين تزوجتهم، كانت تدعى إنصاف السيد عبد السلام من محافظة بني سويف، لقد قتلت اكثر من ٣٥ رجل على مدار عام كامل وقامت بتعذيبهم بطرق بشعة جدا..

وهنا شهقت زينب برعب مرددة:

_ ٣٥ رجل!، وكيف لم يشعر بها أحد ولا الشرطة؟، وهل كانت المرأة الحديدية!

فقال حسنين:

_ لأنهم لم يكونوا في نفس المحافظة يا زينب، بل كانوا في محافظات مختلفة في مصر، كانت تجوب المحافظات بحثا عن ضحاياها ومن يلقيه القدر في طريقها، لم تكن تضع الخطط ولا طريق السير المحدد لتتمكن الشرطة من القبض عليها بسهولة، لم تكن المدرعة تريد سوى القتل فقط والتدمير ، قتل الرجال وإزهاق أرواحهم وتعذيبهم كان غايتها وهدفها بالحياة.

١٦ من يوليو ٢٠٢٠
طنطا محافظة الغربية

كان عامر يرتدي بدلة العرس السوداء، وكان يشعر بالسعادة العارمة، فاليوم هو يوم مميز في حياته، سوف يتزوج ويكون أسرة، فسنوات من العيش في ملجأ الأيتام بعد أن وجدوه في صندوق قمامة، فلقد عاش الشاب حياة بائسة في مأوى الأيتام، ولكنه دوما كان يتمنى حياة أفضل، كان متفوقا في دراسته، التحق بكلية ورفض مدير الدار أن يجعله يكمل دراسته، فمعظم أقرانه اكتفوا بدبلومات الصنايع أو التجارة والتحقوا بالعمل، ولكن عامر أصر على أن يكمل حلمه ودخل كلية الهندسة، والتحق للعمل عندما أكمل الثانوية العامة، وكانت سيدة أعمال شهيرة تتولى مساعدته وتتبناه منذ كان صغيرا وعندما أصر على دخول الكلية ساعدته السيدة، ووفرت له سكنا وعملا في أحد مصانعها، وبعد أن تخرج التحق للعمل في الشركة، وكانت السيدة ترعاه وأهدت له شقة من شقق العاملين في الشركة حتى يتزوج فيها، واختار العروس المناسبة له وكانت زميلته في الجامعة ويتيمة مثله، ولكنها كانت معروفة النسب، وضعها والدها بالميتم لأن زوجته رفضت تربيتها، وليست مثله مجهولة النسب والهوية.

وكان يتمنى أن يعيش حياة سعيدة وهانئة ويملك أسرة تسودها المودة والمحبة، هذا كل ما كان يتمناه منذ كان صبيا صغيرا يعيش في الميتم ويرى باقي الأطفال في المدرسة يعودون لمنازلهم بعد انتهاء اليوم الدراسي وينتظرهم أهلهم، وليس مثله، عليه العودة إلى ملجأ الأطفال حيث ينتظره العقاب إن تأخر والحرمان من الطعام والشراب

إن فعـل شيء خاطـىء، فهـو ليـس طفـلا كباقـي الأطفـال لا يحـق لـه أن يخـاف، فهـو يتيـم وليـس هـذا فقـط بـل هـو لقيـط مـن صنـدوق قمامـة أيضـا إبـن حـرام كـما كان يناديـه دومـا مديـر الملجـأ وينعتـه.

نفـض كل تلـك الأفـكار السـيئة عـن رأسـه ونظـر إلى نفسـه في مـرآة المنـزل وهـو يبتسـم بسـعادة، وهنـا رن هاتفـه الجـوال، نظـر لـه وكانـت السـيدة التـي تكفلـت بـه منـذ كان صغـيرا وأحبتـه كإبنهـا، ربمـا لم يعاملـه أو يشـعر بـه أحـد بالكـون غيرهـا هـي، كان يقدسـها، فهـو يراهـا مـلاك تسـير عـلى الأرض ومكانهـا السـماء وليـس تلـك الأرض التـي تمتـلىء بالقسـوة والجحـود مـن البـشر.

قال بسعادة:

_ مرحبا يا سعاد هانم كيف حالك؟

سمع صوتها وهي تقول له معاتبه كعادتها:

_ ألم تكـف يـا ولـد عـن ترديـد كلمـة هانـم ألم أخـبرك منـذ كنـت صغـيرا بأننـي أمـك أيهـا الأحمـق؟

كان يحـب مداعبتهـا لـه وغضبهـا عندمـا يقـول لهـا جملـة سـعاد هانـم، يحـب سـماع كلماتهـا الغاضبـة التـي تخـبره فيهـا بأنهـا مثـل أمـه، إن الحرمـان شيء قـاسي ومـؤلم هـو يعـرف فلكـم يشـتاق لترديـد كلمـة أمـي لهـا ولكنـه لا يسـتطيع، فمنـذ كان طفـلا صغـير هـو يعـرف بأنهـا ليسـت أمـه ولـن تكـون أبـدا فهـو إبـن حـرام، ولـن يخـدع نفسـه، بـل سـيحارب حتـى يكـون لـه أسرة وأطفـال وسـيجعلهم سـعداء ويبتسـمون دومـا ويفتخـرون كونـه أبيهـم، ولكنـه يحـب حقـا تلـك المـرأة ويقدسـها، سـمع صوتهـا وهـي تقـول بعتـاب كبـير:

_ مازلـت في المنـزل يـا عامـر أليـس كذلـك يـا ولـدي ولم تذهـب لمصفـف الشـعر الـذي حجـزت لـك عنـده يـا أحمـق؟!

ابتسم هو بسعادة قائلا:

_ قولي لي وما الذي سيصففه وأنا بلا شعر وحلقت شعرى كله يا سعاد هانم؟

_ أحمق أنت يا عامر وعنيد، فهل هناك عريس يذهب فرحه بلا شعر يا غبي، لا أدري كيف وافقت بك تلك المجنونة ولكنني أعرف بأنها تحبك بجنون.

ابتسم لدعابتها وقال:

_ أريد أن أقول لك شيئا لم أقله لك منذ أكثر من عشرين عاما، وقتها كنت في السابعة من عمري عندما رأيتك أول مرة في ملجأ الأيتام، أنت ملاك كبير يعيش على هذه الأرض، ومكانتك مقدسة وأنا أشكرك على كل شيء فعلتيه من اجلي.

قالت له بعتاب كبير:

_ أنت أحمق كبير يا عامر، لأنني أخبرتك كثيرا بأنك إبني، نعم لم تلدك بطني ولكنك إبني شئت أم أبيت يا ولدي وأتمنى لك السعادة فهذا هو واجبي يا بني تجاهك، وفقك الله في حياتك الجديدة ووهبك السعادة التي تتمناها يا حبيبي..

وهنا شعر بالسعادة الكبيرة فهي، تقول مرة أخرى بأنه إبنها، وهو يحب سماع ذلك كثيرا لن ينكر، فمن سيقول له تلك الكلمات غير تلك الملاك الكبير.وهنا سمع تلك الضجة تأتي من خلفه فالتفت بسرعة، وهنا صرخ بفزع صرخة عالية، وسقط الهاتف من يديه، فقالت المرأة بقلق:

_ ماذا حدث لك يا عامر، لماذا تصرخ يا ولدي أجب بالله عليك ؟!

وهنا سمعت صرخاته المريعة وكأن أحدهم يعذبه ويقتلع أظافره وهو يردد من بين دموعه:

_ ساعديني يا أمي أنا أحترق ..

وبعدها انقطع الإتصال، شعرت المرأة العجوز بالذعر الكبير من صوت عامر وهو يصرخ مرددا أمي بلوعة، فرددت بقلق، ماذا حدث لك يا بني؟، فهي تعتبر الشاب كإبنها كفلته وهو صغير وأهتمت به حتى صار مهندسا ووفرت له عملا في مصنعها ووفرت له شقة وخطبت له واليوم هو يوم زفافه، كانت تحبه كإبنها الذي لم تلده، وكان هو بارا وحنونا معها أكثر من أولادها الذين لا يسألون عليها إلا من أجل المال، إلا هو كان يحبها لأنها اهتمت به ورعته لقد حفظ الجميل وما قدمته له من حب وأمان فأعطاها الحب والحنان، كادت تموت من الذعر عليه، اتصلت بالشرطة وأبلغتهم بالأمر وذهبت مسرعة مع سائقها ومدير أعمالها إلى منزل عامر لترى ماذا حدث له وكانت تدعوا الله أن يكون بخير.

***

كانت سيارة الشرطة قد سبقتها إلى شقة المهندس عامر في ذلك الحي الراقي بمدينة طنطا، وكانت قد اكتشفت حالة الجثة بعد أن تم فصل رقبتها تلك المرة عن الجسد، وكانت معلقة كالذبيحة من أقدامها بذلك الخطاف من الحديد مغروس في لحم القدم، في منظر مقزز جدا وليس فيه أي نوع من أنواع الرحمة والشفقة، إن المنظر مقزز وكئيب جدا، منعها رجال الشرطة من الدخول فلن تتحمل ما بالداخل أبدا، ولكنها كانت كالمجنونة وتريد معرفة ما الذي حدث لإبنها، دخلت عنوة وهي تدفع رجال الشرطة بقسوة ولكنها حقا لم تتحمل ما رأت تلك المرة، فمن ذلك الوحش الذي فعل هذا بولدها، لم تتحمل كل تلك الدماء على الأرض وجسده المعلق كالذبيحة بدون رأس، وأمعائه وأحشائه تتدلى منه وما تبقى منها على الأرض، بحثت

بذعر عن رأسه الأصلع وكان ملقى في جانب الغرفة، وكانت مازالت عيونه مفتوحة و نظرات الرعب والفزع على وجهه، يبدو بأنهم عذبوه وهو حي واقتلعوا رأسه كالنعاج، لم تتحمل، فلم يقطعون رأس ابنها بتلك الوحشية؟!، عادت لتنظر لجسده المعلق بصدمة حتى يديه لقد قطعوها له بوحشية، لم يعرف القاتل كم قدمت تلك اليدين لها من حب وخير وحنان، لم يعرف الوحش بأن تلك الأقدام التي احترقت عن بكرة أبيها وتشوهت، فساح الجلد وتساقط على الأرض ليلتصق بالسجاد الجديد، لا يعرفون كم سار بها في الطرقات المبتلة وأسفل المطر ليلبي لها إحتياجاتها ويجلب لها العلاج والدواء وكل ما تحتاجه، ونظرت ذلك الصدر العاري أمامها بعد تشويهه والحفر على اللحم وما هو مكتوب «سأعود إليكم - سأفعل ما تريدون جميعا» كم كان حنونا عطوفا عليها لسنوات طويلة، فلماذا يفعلون ذلك بولدها، لماذا يذبحوه كالنعاج ويعذبونه حتى الموت، ويبقرون بطنه لتخرج أمعائه خارج بطنه في مشهد مرعب وبشع، وبجوارها كان قلبه وقد اعتصره أحدهم بقسوة، لم يعرفوا كم كان ذلك القلب طيبا وحنونا معها، رحيما رؤوفا بحالها وكسرها وكبر سنها، لم تتحمل سعاد كل هذا، فسقطت على الأرض وهي تشعر بتلك الوخزة الشديدة في أعلى ظهرها ومكان القلب، هي تعرف بأنها النهاية وكانت تريد أن تلتقي بولدها، وبعدها غادرت روحها حقا جسدها إثر صدمة وأزمة قلبية مفاجأة، فلم يتحمل قلبها المريض بشاعة ما رأت، فلقد تفوق القاتل على الشيطان نفسه فيما فعله بطفلها.

وصل المحققان أدهم وسليم من القاهرة بعد إبلاغ مديرية الأمن بالأمر، وكانا المحققان في حالة صدمة شديدة، فتلك المرة فاق القاتل كل التوقعات وطرق التعذيب لضحاياه، فماذا فعل له الضحايا!، كانت الرائحة الزفرة للدماء المسفوكة بشعة جدا، لم يتحملها

أدهـم، فأخـرج إحـدى سـجائره ووضعهـا في فمـه قائـلا:

_ أعتقـد بـأن القاتـل يتـدرج في طـرق التعذيـب يـا سـليم لسـبب، فهـل يريـد إيصـال رسـاله خاصـة لنـا مثـلا؟!

هز سليم رأسه مفكرا وهو يقول:

_ ربما..فيبـدو أن القاتـل مختـل، ولكـن كيـف يختـار ضحايـاه؟، هـل هنـاك رابـط بينهـم أو صلـة قرابـة لا افهـم؟

هز أدهم رأسه مرددا:

_ لا، ليسـت هنـاك أي صلـة قرابـة، ولكـن الرابـط الوحيـد بينهـم جميعـا هـو بأنهـم عرسـان وفي ليلـة زفافهـم فقـط.

زفر بغيظ وعدم فهم قائلا:

_ ولكن لماذا يا أدهم بيك؟

نظـر لـه أدهـم ولم يـرد، فهـو نفسـه لا يفهـم لمـاذا، فلـماذا يكـره القاتـل كل عريـس مقبـل عـلى الـزواج، هـل لأنـه لا يسـتطيع فعلهـا مثـلا وظروفـه لا تسـمح!، هنـاك شيء غريـب، قطـع حبـل أفـكاره صـوت جـرس هاتفـه الجـوال وهـو يـرن، فوضـع الهاتـف عـلى أذنـه وكان مـن الطـب الشرعـي، كان قـد اسـتعجل معرفـة تلـك المـادة البيضـاء التـي يجدونهـا جـوار الجثـث، وكانـوا يعتقـدون بأنهـا سـبب تلـك الحـروق والتشـوهات في جثـث الضحايـا، وكان كـما توقـع، لقـد أخـبره مسـاعد تقريـر الطـب الجنـائي، وتلـك المـادة هـي مـادة كيماويـة كانـت تسـتخدم للتنظيـف في التسـعينات مـن القـرن المـاضي، وتخلـط مـع المـواد الكاويـة كالكلـور، وكان هنـاك مصنـع واحـد في طنطـا هـو مـن كان ينتجهـا فقـط في مـصر كلهـا، ولكنهـم توقفـوا عـن صناعتهـا تمامـا، لأنه تـم اسـتخدامها في القتـل، وأدت لأذيـة وإحـراق العديديـن، فتـم إغـلاق المصنـع تمامـا منـذ سـنوات، اسـتمع أدهـم لتلـك المعلومـات الغريبـة باهتـمام كبـير وتركيـز يريـد ربـط الأمـور بعضهـا ببعـض، ومـن حسـن الحـظ بأنـه في طنطـا ليتحـرى عـن الأمـر أكـثر

وعنـوان المصنـع كان قريبـا نوعـا مـا مـن منطقـة منـزل الضحيـة، فليتحـروا عـن الأمـر فربمـا توصلـوا لـشيء.

***

(٥)

٢٢ مايو عام١٩٩٢ م

محافظة بني سويف- قرية أم الرجال

وقفت في شرفة منزلها تشاهد تلك الأراضي الخضراء لحقول الذرة أمامها، كانت تحاول استنشاق القليل من الهواء النقى لتملأ به صدرها بعد نزيف حاد وهبوط بالدورة الدموية ألزمها الفراش لعدة أيام مضت، لا تستطيع الحركة بعد إجراء عملية كبرى لإزالة الرحم، بعد تعثرها أثناء الولادة مع الداية في المنزل وكادت تموت، فاضطروا لنقلها للمستشفى العام، فقاموا باستئصال الرحم بعد استخراج الفتاتين، نتيجة ذلك النزيف الحاد الذي كاد يؤدي بها للموت لولا ستر الله ورحمته، ولكنها حجزت أسبوع كامل بالعناية الفائقة وبعدها عادت للمنزل لتكمل علاجها، ولقد عرفت بوفاة طفلتيها من زوجها وهي بالمستشفى ولم تخرج بعد، تعجبت من الأمر وشعرت بالصدمة الكبيرة والحزن الكبير ولكنها لم تنطق ولم تعترض حتى على ما يقول الزوج، لقد أخبروها بالمستشفى بأن الفتاتين كانتا سليمتين وبصحة جيدة عند الولادة، فكيف ماتت الطفلتان كانت تتمنى أن تخرج لهما لتحتضنهما وتضمهما بين ذراعيها وترضعهما من صدرها، فلكم تمنت تلك اللحظة منذ أن عرفت بخبر حملها، كانت تريد أن تضم وليدها مهما كان نوعه بين يديها، لينسيها قسوة ذلك العالم وما فعلوه بها منذ كانت طفلة صغيرة، ليس لها ذنب في كونها أنثى

في قريـة وعائلـة لا تنجـب سـوى الذكـور، قريـة يتفـوق عـدد ذكورهـا عـن عـدد إناثهـا، فالإنـاث تمـوت عنـد مولدهـا دومـا، كانـت تسـمع بـأن القابلـة تقـوم بخنقهـن وكتـم أنفاسـهن بالإتفـاق مـع أم الـزوج لتتخلـص مـن عارهـن وهـن صغـيرات.

لقـد سـمعت تلـك القصـص والحكايـات وهـي مازالـت طفلـة وعندمـا كانـت تسـأل أمهـا كانـت لا تـرد، كان لديهـا أخـان آخـران غيرهـا وكانـا مميزيـن جـدا لـدى الأب، فيخرجـان برفقتـه ولكنهـا غـير مسـموح لهـا بذلـك، كانـت تذهـب للمدرسـة وتعـود سريعـا خوفـا مـن العقـاب الشـديد مـن والديهـا، كان عـدد الفتيـات بقريتهـا أم الصبيـان قليـل جـدا بالقريـة، ومـات والدهـا وهـي في سـن العـاشرة مـن عمرهـا وكانـت وقتهـا في الصـف الخامـس الإبتـدائي، كان الأب قـاسي وجـاف في التعامـل معهـا ولكنـه كان يريدهـا أن تكمـل تعليمهـا، كان دومـا يخبرهـا بذلـك.

وبعـد أن مـات والدهـا تزوجـت أمهـا بعـد عـدة اشـهر مـن عمهـا، لا تـدري لمـاذا رغـم أنـه كان متزوجـا وعنـده أطفـال هـو الآخـر، وكان يسـكن بالمنـزل المجـاور لمنزلهـا، ولكنـه كان أكـثر قسـوة مـن والدهـا وكان عنيفـا جـدا معهـا، ويقـوم بمعاقبتهـا، لأتفـه سـبب وضربهـا بقسـوة، ومنعهـا مـن الذهـاب للمدرسـة وإكـمال تعليمهـا رغـم تفوقهـا وذكائهـا، كانـت صغـيرة الحجـم ولم يحـدث أي تغـيرات فسـيولجية في جسـدها، بـل كانـت في حجـم طفلـة في السـابعة مـن عمرهـا وجسـدها هزيـل ضعيـف نحيـل جـدا، لم تبلـغ الفتـاة إلا عندمـا أكملـت عامهـا السـابع عـشر، وكان نتيجـة زيـادة لهرمونـات الذكـورة عـن هرمونـات الأنوثـة لديهـا، وبعـد الذهـاب لطبيبـة الوحـدة والتحاليـل والعـلاج الـذي اسـتمر لسـنوات بالهرمونـات، فلقـد كان حجمهـا كطفلـة صغـيرة، ومشـعرة جـدا فكانـت الأم قلقـة بشـأنها حتـى لا يفوتهـا قطـار الـزواج، ولم تكـن إبنتهـا جميلـة وفاتنـة الحسـن،

ولم تكن قبيحة ودميمة أيضا كانت فتاة عادية، كانت مشكلة بلوغها تثير هلع العائلة والعم لأنها تؤخر زواجها وكل من في مثل عمرها لديهن طفلان وثلاثة، ولن يقبلوا بأن تكون عانس في العائلة وفي القرية التي يعيشون فيها قرية أم الصبيان، جلابة الذكور والرجال.

سمعت يوما عمها وهو يتحدث عنها مع أمها قائلا بثورة:

_ يا ليت أخي السيد رحمه الله قد سمع كلامي وطلب من الداية خنقها وكتم أنفاسها وهي صغيرة، كنا ارتحنا من هما، ولكنه قال حرام وخاف عقاب الله، ولكنني لن أعول عانسا تجلب لنا العار مدى الحياة، يومها سمعت أنصاف كلام عمها الجارح، وجاءتها العادة الشهرية فهل هو الخوف أم قسوة الكلام على النفس، يومها فقط بلغت إنصاف كباقي الفتيات، وكان عمرها سبعة عشر عاما، وعندما تقدم أول عريس يدق باب العم، وافق العم على الفور بتزويج ابنة أخيه للرجل وكان يبلغ من العمر خمسين عام، وأرمل، تقدم لطلب يدها من عمها وكان صديق له منذ زمن وأصغر منه بخمس سنوات، وكان من القرية المجاورة لهم، قرية أم الرجال، وافق العم على الفور دون حتى أن تراه الفتاة أو حتى توافق، فليس لها حق في ذلك، فيكفي بأن هناك من تقدم لطلب يدها، ووجدت إنصاف نفسها زوجة لرجل غريب لا تعرف عنه شيء ومسئولة عن أربعة أطفال صغار، وتركت قريتها ومنزلها لقرية أشد جهل وكرها للفتيات،قرية أم الرجال، فلا تجلب من بالقرية سوى الرجال.

فنفس الشيء الغريب عدد ذكورها أكبر من إناثها بكثير، لأن الإناث تموت عند مولدها بلا سبب، تزوجت إنصاف وعاشت في منزل أهل زوجها، وكانت نفس الحياة القاسية ولكن مسئولياتها أصبحت أكثر، وتحكمات حماتها كانت قاسية وحتى زوجها كان قاسي القلب

والملامح يعاملها بقسوة شديدة وخشونة، لا يحترم ولا يقدر ما تفعل مع أولاده وفي المنزل الكبير.

كانت تكرهه بشدة وتكره قسوته، تكره لمساته لها تكره رائحته عندما يلمسها، عندما يضربها لأتفه الأسباب هو وأمه كما كان يفعل عمها وأمها، لدرجة أنه قام يوما ببتر جزء من إصبعها في إحدى المشادات عندما كان منفعلا، كانت تريد طفل تحتضنه يعوضها عن ذلك الحرمان وقسوة الحياة، يعطي لها الأمان والحنان تحتويه وتضمه، فلقد كانت تفعل ذلك مع أطفال زوجها ولكنهم كانوا ينفرون منها ويكرهونها، يعاملونها معاملة زوجة الأم رغم حبها لهم، لدرجة أنهم أحيانا كانوا يضربونها بالعصى والحصى، لقد أصبحت تكرههم كما تكره أبوهم وجدتهم.

فلماذا تزوجها وجعلها كالخادمة، وعندما يريد أن يقضي شهوته معها فقط بكل قسوة وعنف غير مبالي بمشاعرها وما تريد، لماذا خلقت في ذلك العالم البغيض، فما الحكمة من وجودها؟

ولما خلقها الله بالحياة؟ هل خلقت لتعاني؟

كانت دوما تسأل نفسها نفس السؤال لسنوات طويلة، ماذا فعلت ليحدث لها كل هذا وما ذنبها في كونها خلقت أنثى، لم عالمها ينبذها هكذا ولا يتمنى لها سوى الموت والشر والأذى؟

والآن تنظر لتلك الحقول الخضراء الممتدة أمامها بعد عودتها من المستشفى وتعافيها بعد إستئصال رحمها وموت طفلتيها بلا أي مشاعر للحياة ولا أي أمل في الحياة، فلقد فقدت إحساسها بكل شيء ومات كل أمل بداخلها، عندما علمت بخبر موت بناتها الصغار، ومن

قبلها استئصال أنوثتها وبيت ولدها فلن تصبح أما ولن تحمل طفلا في أحشائها مرة أخرى، دخلت في تلك اللحظة حماتها قائلة بفتور شديد:

_ لقد تحسنت صحتك يا إنصاف عليك بالعودة لمباشرة أعمالك بالدار، فسلفتك حورية وضعت مولودها منذ أيام ولا تقدر على الخدمة بالصبي الصغير، وأنت ليس لديك ما تهتمين به ولن يكون لك.

لم ترد إنصاف ولم تنظر للسيدة العجوز من الأساس، فثارت أم زوجها لذلك التجاهل المتعمد، فلكزتها في كتفها بقسوة وهي تردد:

_ هل قطع لسانك يا بومة أم أكله القط أيتها البور، فلن تنجبي مرة أخرى، ستظلين خادمة في المنزل تعملين بلقمتك التي تأكلينها بالمنزل وتربي أولاد زوجك، وتحمدي الله على تركه لك لتعيشي بالمنزل يا شؤم يا جلابة الفتيات وتقبلين حذائه كل يوم من أجل ذلك.

التفتت إنصاف إليها قائلة بآلية:

_ أخبريني كيف ماتت بناتي هل قتلتوهما؟

نظرت العجوز إلى عيونها بجمود وقالت:

_ وما النتيجة يا بومة، لقد ماتت الفتاتان وهذا هو المهم، لقد ارتاحتا وأراحتانا منهما بالنهاية، كررت إنصاف السؤال بآلية أكثر قائلة:

_ كيف ماتت بناتي هل قتلتوهما؟

_ وماذا ستفعلين إن عرفت، هيا إذهبي وأعدي طعام الغداء

يـا بومـة، وكفـي عـن الثرثـرة فلـن تنفعـك، لقـد اقـترب الظهـر وسـيعود الرجـال متعبـين مـن العمـل.

وهنا نظرت لها إنصاف نظرة نارية وقالت بجمود:

_ أنت أم الداية من قام بقتل بناتي أخبريني؟

لم ترد أم زوجها بل استدارت لتغادر الغرفة وهي تردد بقسوة:

_ أسرعـي وأعـدي الغـداء وكفـي عـن الثرثـرة، وهنـا فقـدت إنصـاف أعصابهـا فجذبتهـا مـن ثيابهـا وقالـت بقسـوة:

_ أخبريني من قتل بناتي الآن؟

وهنـا جـن جنـون العجـوز عندمـا جذبتهـا زوجـة إبنهـا مـن ثيابهـا فصرخـت بغضـب وبصـوت عـالي:

_ كيف تجرؤين أيتها البومة..

ورفعـت يديهـا لتصفعهـا عـلى وجههـا ولكنهـا أمسـكت يديهـا بقسـوة ومازالـت تـردد سـؤالها بآليـة وجمـود:

_ خبريني من قتل بناتي؟، أنت أم الداية؟

صرخـت العجـوز وهـي لا تصـدق أن تتجـرأ زوجـة إبنهـا وتفعـل ذلـك معهـا! فصرخـت بغضـب شـديد وفي تلـك اللحظـة دخـل إبنهـا إلى الغرفـة وسـمع صرخـات الأم وصياحهـا، وشـاهد زوجتـه وهـي تمسـك يـد أمـه فدفـع زوجتـه بقسـوة شـديدة فسـقطت عـلى الأرض، وأخـذ يركلهـا بقدميـه وحذائـه في بطنهـا، وهنـا أوقفتـه الأم وقالـت برجـاء:

_ انتظـر يـا ولـدى حتـى لا تمـوت فـمازال جرحهـا أخضر لم يطـب بعـد، إنتظـر حتـى يلتئـم جرحهـا وبعدهـا إفعـل بهـا مـا تشـاء، لـن يلومـك أحـد، فـلا تجلـب لنـا مصيبـة في بومـة يـا ولـدى باللـه عليـك. فابتعـد بعـد أن بصـق عليهـا مـردد بقسـوة:

_ هـل تعرفـين مـن قتـل بناتـك يـا جلابـة البنـات يـا غـراب، أنـا

مـن خنقتهـما بيـدي، فلـن أجلـب العـار لنفـسي يـا بومـة الفقـر والمـرض، فزوجتـى السـابقة أنجبـت لي أربـع ذكـور وأنـت تجلبـين لي الإنـاث، فهـذا المنـزل لـن يـأوى البنـات أبـدا، لقـد خنقتهـما وكتمـت أنفاسـهما بيـدي التـي قطعـت إصبعـك، كانتـا تشـبهانك كثـيرا في نظراتهـما البغيضـة، فقريتنـا هـي قريـة أم الرجـال وليسـت أم النسـاء، ولقـد أخـبرت أمـك وكانـت تعـرف هـي وعمـك وأخـبراني أن أفعـل مـا أريـد، فهـما بنـاتي وليـس لهـما دخـل بالأمـر، وسـوف تعيشـين كالخادمـة بالمنـزل، وسـوف أتـزوج عليـك، فلقـد أصبحـت عاقـر بعـد أن أزالـوا بيـت الولـد يـا بومـة.

بعدهـا صفعهـا عـلى وجههـا وبصـق بقـوة عـلى وجههـا وجذبهـا مـن شـعرها الأسـود الطويـل وهـو يكمـل:

_ سـتكونين خادمـة لأمـي ولـكل مـن بالمنـزل، إن أردت البقـاء بالمنـزل تنظفـين وتعديـن الطعـام كالحـذاء الـذي أرتديـه.

لم تبـك إنصـاف ولم تـذرف دمعـة واحـدة مـن عينيهـا، فلقـد جفـت الدمـوع في مقلتيهـا كـما يجـف نبـع المـاء، ولم يعـد لهـا مـكان، نظـرت لهـم جميعـا بعـد أن تجمـع كل مـن بالـدار لـيروا مـاذا يحـدث، وأخـذوا ينظـرون لهـا بشـفقة كبـيرة لحالهـا، فمازالـت في فـترة النفـاس ومـا تعرضـت لـه ليـس هـين، فبسـبب حماتهـا ورفضهـا أن تذهـب للمستشـفى رغـم إن الدايـة أخبرتهـا بـأن حالـة زوجـة إبنهـا ليسـت جيـدة وتحتـاج طبيـب، ولكنهـا رفضـت وأصرت عـلى الـولادة بالمنـزل ولم تلـد في النهايـة فلقـد كادت تمـوت واضطـروا لنقلهـا للمستفى في النهايـة، ولكنهـا خـسرت بيـت الولـد ولـن تسـتطيع الإنجـاب مـرة أخـرى.

ولم تـترك لهـا حماتهـا وزوجهـا بناتهـا لتفـرح بهـما ويعوضاهـا عـما رأت، بـل قامـا بكتـم أنفاسـهما حتـى ماتـت الفتاتـان ورحلتـا عـن ذلـك العـالم القـاسي وجحـوده.

قامـت إنصـاف مـن عـلى الأرض ومازالـت تنظـر لعيـون زوجهـا

بآلية وجمود بلا أي مشاعر، وبعدها ألقت نظرة أخرى باردة لعيون حماتها وردت بآلية:

_ «سأفعل ما تريدون جميعا!».

غادرت الغرفة بعدها بهدوء شديد، لتعد لهم طعام الغداء، أمام نظرات الذهول والتعجب من الجميع فلم تذرف المراة دمعة واحدة، ولم تعترض على ما فعلوه بها، بل أخبرتهم بأنها «ستفعل ما يريدون بلا مبالاة، نظرت الأم بقلق لإبنها قائلة:

_ هل هي بخير يا ولدي؟ فربما أصبتها من ركلك لها في بطنها فتجلب لنا مصيبة.

فرد الزوج على أمه قائلا:

_ لا تقلقين يا أمي، فهي كالبهيمة الخرساء، حمارة عمل لا تصلح إلا للتحمل، ولا تسير إلا بالضرب، و لا تشعر بشيء، ولم تتألم حتى أو تبكي بعد كل الضرب الذي ضربته لها، اتركيها لتتعلم كيف تتأدب وتعرف وضعها الجديد وتعيش في سلام بالبيت بلا منغصات، فيكفي ما أنا فيه من هم ونكد.

ذهبت بهدوء وأعدت طعام الغداء، ولم تنطق بحرف واحد ولم تقل شيء ، ولم تنزل دمعة واحدة من عينيها، بل كانت نظراتها شاردة وبعدها ذهبت لترتب وتنظف المنزل واستمرت على هذا الحال أيام وليال، لا تتكلم ولا تنطق تفعل ما يقولون بلا أي رد سوى جملة: «سأفعل ما تريدون» لا تبالي بركلات الزوج ولا نظرات أمه.

وبعد عدة أيام ذهبت إلى المستشفى لتغير على جرح بطنها ويراه الطبيب، فلقد كان الجرح كبير وتقيح وامتلأ بالصديد والسوائل، فأصبحت رائحته كريهة لا يطيقها أحد، وكانت لا تشتكي ولا تتألم، أخذتها أمها إلى المستشفى ودخلت للطبيب الذي فزع عند رؤية منظر الجرح وما أصابه من تلوث وتقيح، فكتب لها العلاج

وقـام بالغيـار لهـا واعطائهـا مضـاد حيـوي قـوي، وهنـا قالـت لـه برجـاء:

- هــل تكتــب لي شيء يسـاعدني عـلى النـوم مـن فضلـك، فأنـا أظـل مسـتيقظة وأتذكـر بنـاتي ومـا حـدث معـي فـلا أسـتطيع النـوم، وأظـل أخـدم بالمنـزل وأتحـرك ولا أسـتطيع النـوم، هـل تسـاعدني مـن أجـل اللـه ؟

رأف الطبيـب لحالهـا، وكتـب لهـا عـلى أقـراص منومة قوية لتسـتطيع النـوم والراحـة حتـى يلتئـم جرحهـا وتتعـافى، اشـترت إنصـاف الـدواء، وعـادت للمنـزل ولم تنطـق كلمـة واحـدة مـع أمهـا التـى كانـت متعجبـة مـن حالهـا وصمتهـا، ولكنهـا كانـت تتفهـم مـا تمـر بـه ومـا حـدث لهـا.

وفي اليـوم التـالي أعـدت إنصـاف طعـام الغـداء للجميـع كعادتهـا ووضعــت فيــه كل أقــراص المنــوم، العلبــة كاملــة وضعتهــا بالطعــام، وحتـى الطعـام الـذي سـيتناول منـه الأطفـال أيضـا، لقـد وضعـت لهـم أيضـا المنـوم كانـت تريـد قتـل الجميـع وتنتقـم لمـوت بناتهـا.

لم يهتــم أحــد بمــا تفعــل، فلقــد كانــوا يتركونهــا تفعــل كل شيء بمفردهــا، تعــد الطعــام وتنظــف المنــزل، فهــي الحــمارة التــي تتحمــل وتقـوم بكامـل أعمالهـا بـلا كلـل ولا تعـب، ولقـد دعـت إنصـاف عمهـا للغـداء وأخـبرت أمهـا بـأن زوجهـا يريـد التحـدث مـع عمهـا في أمـر هـام.

حــضر العــم وكان يعــرف الموضــوع مســبقا وإعتقــد بــأن الــزوج سـيحدثه في عقـم إبنتهـم وبأنـه سـيتزوج وهـم لـن يعترضـوا فليفعـل مـا يريـد، فهـي في النهايـة زوجتـه وخادمـة في منزلـه وليـس هنـاك كلمـة طـلاق بالعائلـة لتعيـش كـما قـدر اللـه لهـا العيـش وتـرضى بنصيبهـا وتـربي أولاد زوجهـا وتبتلـع لسـانها في حلقهـا.

***

٣ يونيو ١٩٩٢م

محافظة بني سويف -قرية أم الرجال

بعد أن تناول الجميع طعام الغداء غطوا في نوم عميق حتى الأطفال، تساقطوا مكانهم كما تتساقط أوراق الشجر في الخريف. بعد أن تأكدت إنصاف من نوم الجميع ذهبت وأحضرت الساطور من المطبخ وسكينة تقطيع اللحم بعد أن سنتها جيدا، وذهبت إلى زوجها وكان ملقى على الأرض منكفئا على رأسه، ركلته بأقدامها بقوة في رأسه كما كان يفعل معها، وبصقت على وجهه القبيح، وبعدها قامت بطعنه في صدره وبطنه، أخذت تطعن وتطعن، لا تشعر بما تفعل ولا تدري حتى كم طعنة قد طعنتها للرجل، مئه أو أكثر، لا يهم، فلقد نسيت الرياضيات منذ أخرجوها من المدرسة.

وبعدها فصلت رقبته بالسكين تماما عن الجسدكما تفصل رأس الشاه، وأخذت تنظر إلى عيونه وكانت مفتوحة تنظر لها، قالت هي بسخرية:

_ هل ترى ما أفعل يا حسان بك أم لا، أخبرني يا غراب البين؟

إستخرجت العينين وقامت بعصرهما بقوة بين يديها وهي تردد:

_ لا يهم لا يهم، سأفعل ما تريديون جميعا.

وبعدها قطعت لسانه وأذنيه باستمتاع شديد، وقطعت بعدها الأنف وهي تمسك الرأس من شعرها بلذة، بعدها جردت الزوج من ملابسه تماما وقامت بقطع أعضائه التناسلية، كانت مستمتعة

بشـدة بـكل جـزء مـن لحـم زوجهـا تقـوم باسـتئصاله وتلقيـه بعيـدا بنشـوة وسـعادة كبيرة،كطفلـة تمـرح تحـت المطـر، وبعدهـا قطعـت يديـه ووضعتهـما داخـل كيـس أسـود للقمامـة، فهاتـين اليديـن قتلتـا طفلتيهـا بـلا رحمـة وشـفقة، نظـرت لـه طويـلا ولمـكان الكفـين المقطوعـين- ولتلـك الدمـاء بنشـوة ولم تتكلـم، فتلـك اليديـن آذتهـا كثـيرا وضربتهـا، وكانـت السـبب في بـتر عقلـة مـن إصبعهـا بـكل وحشـية وقسـوة، وهنـا ضربتـه بقسـوة بقدميهـا في بطنـه وأخـذت تركلـه وتركلـه كـما تـركل الكـرة، فـلا يكفـي حرقهـما، سـتجعل مصيرهـما أسـوأ، سـتطعمهم للـكلاب.

شـعرت بـأن مـا فعلتـه بالـزوج لم يكـن كافيـا، ولم يشـفي مـا بداخلهـا بعـد مـن نـيران مسـتعرة وبراكـين ثائرة،إقتربـت بالسـاطور وقامـت بشـق جسـد الرجـل إلى نصفـين مـن بدايـة الترقـوة إلى أسـفل سرة الرجـل، خرجـت الأمعـاء والأحشـاء ومـا بداخـل البطـن مـن زمـن وكأنهـا وجـدت الخـلاص للخـروج مـن ذلـك المـكان الضيـق الحبيسـة فيـه لسـنوات وتريـد الحريـة والانطـلاق، نظـرت طويـلا لأحشـاء الـزوج واقتربـت مـن القفـص الصـدري اسـتخرجت قلـب الرجـل وأمسـكته بـين يديهـا، وقالـت بتعجـب ممـزوج بـالألم:

_ كنـت أتخيلـك بـلا قلـب يـا حسـان، شـيطان تحيـا عـلى الأرض، ولكـن أقسـم لـك بأنـك كـما قتلـت بنـاتي سـأقتل كل أولادك و أتنـاول قلوبهـم، ولكننـي لـن أتـذوق قلبـك فلـن أتحمـل مرارتـه في حلقـي.

أخـذت تعتـصر القلـب الـذي كان مـازال ينبـض بـين يديهـا ببـطء وتتسـاقط الدمـاء منـه.

بعـد أن عصرتـه تمامـا بصقـت عـلى جثتـه، وبعدهـا ذهبـت للثـاني، وكان عمهـا، وقامـت بذبحـه مـرة واحـدة، وفصـل رقبتـه بـلا ذرة رحمـة،

وبعـد الذبـح مبـاشرة وخـروج تلـك الدمـاء المتدفقـة بقـوة، أخـذت تطعنـه وتطعنـه مـرات ومـرات، لتخـرج معهـا ذكريـات الماضي كلـه وهـي تتذكـر ضربـه وقسـوته معهـا عندمـا كانـت صغـيرة، ثـم قامـت بشـق قفصـه الصـدري لتخـرج القلـب وتعتـصره بـين يديهـا بقسـوة كـما فعلـت بقلـب زوجهـا، ثـم تقطـع اليديـن والقدمـين بآليـة كبـيرة بعـد تجريـده مـن جلبابـه الواسـع وهـي تضحـك بحـزن ولا تتكلـم.

فلقـد فقـدت القـدرة عـلى الـكلام وإخـراج مـا بداخلهـا مـن ألم وحـسرة، ولكنهـا كانـت سـعيدة وتشـعر بالإنتشـاء وهـذا مـا تريـده، فقـط السـعادة التـي حرمـت منهـا لسـنوات، هـي فقـط تريدهـا اليـوم.

هـل تتـذوق طعـم قلـب عمهـا، بعـد اعتصـاره بـين أصابعهـا!! لعقـت أصابعهـا بتلـذذ لتتـذوق طعـم الدمـاء المتجلطـة، لقـد كانـت لذيـذة وأعجبتهـا، اسـتخرجت كبـد الرجـل بـين يديهـا بعـد بقـر بطنـه مـرة واحـدة بالسـكين، وضعتـه بـين أسـنانها وقطمـت قطعـة كبـيرة أخـذت تلوكهـا باسـتمتاع وهـي تـردد:

_ ظننتـك بـلا قلـب ولا كبـد يـا عمـي، ألم يصعـب عليـك حـالي عليـك يومـا يـا رجـل وأنـا فلـذة كبـد أخيـك! أتـدري؟، فكبـدك ليـس سيء كوجهـك الدميـم، أخـبرني مـاذا فعلـت أنـا لـك، لتزوجنـي مـن حسـان بـكل مـا فيـه مـن عيـوب وقسـوة، لا تقلـق سـأفعل مـا تريـدون، وبعدهـا ضحكـت بسـخرية عاليـة، بصقـت بعنـف وهـي تـركل جثـة الرجـل بقسـوة، وقالـت:

_ سـوف أجعلهـم لا يسـتطيعون التفريـق بـين جثتـك وجثـة صديقـك حسـان وأطفالـه سـتكونون جميعـا شيء واحـد، فكلكـم متشـابهون وأقسـم لكـم لـن يتعـرف عليكـم أحد،ولـن يسـتطيعوا التفرقـة بـين لحمـك ولحـم

حسـان وأطفالـه، هـل تـرى مـدى العـار يـا عمـي، فلـن تدفـن في مقـبرة عائلتـك التـي تفتخـر بهـا وبنسـبها.

وبعدها ضحكت بسخرية.

_ انتظر، سأعود إليكم، فلم أنتهي بعد..

ذهبـت بعدهـا لأطفـال زوجهـا وقامـت بكتـم أنفاسـهم كـما كتمـوا أنفـاس بناتهـا، وبعدهـا قامـت بذبحهـم وهـم نائمـون وفصـل رقبتهـم عـن أجسـادهم الصغـيرة تمامـا، لم تـرأف لحالهـم وضعفهـم، فلـم يـرأف أحـد بحـال بناتهـا عندمـا قتلوهـما وهـما لا تعرفـان شـيئا عـن الدنيـا، وبعدهـا اسـتخرجت قلوبهـم وأكبادهـم الصغـيرة ووضعتهـا عـلى المنضـدة، ولكنهـا شـعرت بالغضـب الشـديد والغـيرة والحـسرة، فلـم يكـن هنـاك سـوى ثلاثـة أولاد فقـط والطفـل الصغـير صـدام.

كان الصبـي عنـد جدتـه مـن أمـه لأنـه يحبهـا ويذهـب لهـا دومـا ويبـات عندهـا مـع خالتـه وزوجـة عمـه في نفـس الوقـت حوريـة، بعـد ذبـح الثلاثـة أطفـال، وطفـلان آخـران لأبنـاء أخـي زوجهـا لم تشـعر بـأي شـفقة تجـاه أي صبـي عنـد ذبحـه وكتـم أنفاسـه، فـما بداخلهـا لـن يطفئـه أي شيء سـوى رؤيـة الدمـاء فقـط والكثـير مـن الجثـث والأشـلاء .

ذهبـت لأخـي زوجهـا وكان نائمـا هـو الآخـر منكفـأ عـلى رأسـه، قامـت بطعنـه طعنـة واحـدة في قلبـه لتخـرج السـكين مـن الجهـة الأخـرى مـن الصـدر وتضغـط بالسـكين بقـوة كبـيرة وتلـف السـكين بغـل كبـير، وبعدهـا فصلـت رقبتـه مـرة واحـدة بالسـاطور، بعـد رفـع السـاطور الحـاد عاليـا لتنـزل بـه مـن القفـا وتنفصـل الـرأس وتـترك مكانهـا نافـورة مـن الدمـاء لا تتوقـف، وقطعـت يديـه ووضعتهـا بالكيـس الأسـود، وبعدهـا قامـت بقسـم الرجـل إلى نصفـين متسـاويين بعـد نـزع ثيابـه وأخرجـت أمعائـه وأعضائـه الداخليـة بلامبـالاة.

ونظـرت للأجسـاد والـرؤس كثـيرا، وبعدهـا نظـرت للمنضـدة ولتلـك القلـوب الصغـيرة التـي اسـتخرجتها مـن الأجسـاد، وشـعرت بالجـوع الشـديد، فلقـد أرهقهـا العمـل وأنهكها،أخـذت القلـوب وذهبـت للمطبـخ وقامـت بتحمريهـم بالزيـت ووضـع الفلفـل الأسـود والملـح وعـصرت الليمـون، لم تضع بصـل ولا ثـوم، بـل هـي تريـد أن تتـذوق القلـوب فقـط، وأخـذت طبـق الطعـام وذهبـت لتجلـس جـوار الجثـث وتتنـاول الطعـام بتلـذذ.

لقـد كانـت جائعـة جـدا لـن تنكـر، ورؤيـة الدمـاء أثارتهـا كثـيرا وجعلتهـا جائعـة أكـثر وفتحـت شـهيتها لتنـاول الطعـام، كـما أن رائحـة القلـوب الطازجـة كانـت شـهية، فتحـت التلفـاز وكانـت قنـاة روتانـا زمـان تذيـع حفـل لكوكـب الـشرق أم كلثـوم، وكانـت تـردد بصوتهـا القـوي البديـع:

ما تصبرنيش بوعود..

وكلام معسول وعهود..

أنا ياما صبرت زمان، زمان...

على نار وعذاب وهوان...

أنا ياما صبرت زمان، زمان..

وهي غلطة ومش حتعود..

كانـت تسـتمع لكلـمات عبـد الوهـاب محمـد وألحـان الموجـي بانتشـاء شـديد وسـعادة، فهـي مـن عشـاق أم كلثـوم، وكانـت تـردد خلـف السـت بمتعـة كبـيرة وسـعادة وهـي تتنـاول الطعـام والجثـث مـن حولهـا

في كل مـكان، وتشـعر بالنشـوة والراحـة النفسـية الكبـيرة، وبعـد تنـاول القلـوب المحمـرة للأطفـال وإمتـلاء بطنهـا فلـم يعـد هنـاك مـكان فـارغ، كانـت تحتـاج لكـوب مـن الشـاي الثقيـل جـدا الصعيـدي، لتكمـل مـا بـدأت في الحفـل، صنعـت كـوب الشـاى وأكملـت الإسـتماع للسـت وهـي تتمايـل عـلى نغـمات الموسـيقى، وبعـد شرب الشـاي اسـتخرجت سـيجارة مـن جلبـاب زوجهـا الممـزق بجـوار الجـدار وهـي تقـول بصـوت عـالي:

إنما للصبر حدود..

للصبر حدود...

أكتر من مرة عاتبتك..

واديتلك وقت تفكر..

كان قلبي كبير بيسامحك..

إنما كان غدرك أكبر...

أكبر من طيبة قلبي..

أكبر من طولة بالي..

وبعدهــا أطلقــت ضكــة عاليــة ســاخرة ووضعــت الســيجارة في فمهابعـد إشـعالها، كانـت مازالـت أم زوجهـا نائمة،لقـد تركتهـا أنصـاف ولم تؤذهـا أو تلتفـت لهـا، فلقـد قـررت أن تحـرق قلبهـا عـلى فلـذة أكبادهـا كـما حرقـت قلبهـا عـلى بناتهـا وحرمتهـا منهـما، وهـي تـردد خلـف الأغنيـة قائلـه:

آهي غلطة ومش هتعود...

جـرت جسـد الـزوج وجسـد عمهـا وأخـو الـزوج والأطفـال الثلاثـة، وطفـلان مـن أبنـاء أخـو زوجهـا، كانـا مـازالا بالمنـزل لم يذهبـا مـع الأم لمنـزل الجـدة، ووضعتهـم في منتصـف البهـو ونظـرت للأجسـاد العاريـة

طويـلا ، وأخـذت نفسـا طويـلا مـن تلـك السـيجارة في فمهـا وأحـضرت السـاطور، ومازالـت أم كلثـوم تـردد بصوتهـا البديـع:

إنما للصبر حدود..

للصبر حدود..

متصبرنيش ماخلاص..

أنا فاض بيا ومليت...

وقامـت بعدهـا بعملهـا بانتشـاء شـديد، كانـت تقطـع اللحـم لمكعبـات صغـيرة جـدا ليصعـب التعـرف عليهـا، وكانـت كلـما قطعـت جثـة كانـت تخلطهـا مـع لحـم الجثـة الأخـرى بسـعادة وهـي تـردد:

_ أقسـم لكـم لـن يتعـرف أحـد عليكـم مهـما حاولـوا وفعلـوا لسـنوات.

قامـت بتقطيـع الجثـث إلى مكعبـات صغـيرة جـدا مـن اللحـم بعـد ازالـه الجلـد وتشـفية العظـام ببراعـة شـديدة، وبعـد الإنتهـاء كانـت الثلاث علـب سـجائر الموجـودة بالـدار قـد نفـدت أيضـا، ومـع آخـر نفـس أخذتـه أخرجـت معـه كل تلـك السـعادة في صدرهـا مـع انتهـاء حفلـة السـت كوكـب الـشرق وأغنيـة للصـبر حـدود، أخـذت تنظـر لكومـة اللحـم التـي صنعتهـا مـن الأجسـاد كلهـا، هـي لم تقتـل مـن قبـل، كـما أنهـا لم تدخـن مـن قبـل، ولكنهـا شـعرت باللـذة والاسـتمتاع وأنهـت عملهـا ببراعـة، وكأنها قتلـت ألـف مـرة، واستنشـقت التبـغ وكأنهـا مدمنـة منـذ نعومـة أظافرهـا، ولكنهـا كانـت تعشـق أم كلثـوم وسـمعتها ألـف مـرة ومـرة في الـسر دون أن يسـمعها أحـد، لأنهـم كانـوا يمنعونهـا مـن الاسـتماع للأغـاني.

تثائبت باستمتاع وبعدها قررت الرحيل قبل أن يكتشف أحد الأمر ويقوموا بسجنها، فلم تنه مهمتها بعد، ستقتل كل الرجال في مصر وبعدها ستقتل كل الرجال في العالم، فهم لا يستحقون العيش، ولا يستحقون الحياة، فرجل هو من حرمها السعادة والأمان، ورجل آخر من عذبها وهي صغيرة وحرمها الطفولة، ورجل غيره هو من حرمها حقها في التعليم، ورجل هو من أهانها واستحل جسدها، حتى انه قطع إحدي أصابعها، ورجل هو من أفقدها كل مشاعر الإنسانية بداخلها، ورجل هو من قتل بناتها من قبل حتى أن تراهم وتحتضنهم وتضمهم لصدرها وتشم رائحتهم، ورجل هو من أفقدها الصبر ولم يعد بها شيء تتحمله، وستجعلهم جميعا يدفعون ثمن كونهم رجال ولن تترك رجلا يحيا، ستعود لتنتقم منهم جميعا وتقطع أيديهم التي يعذبون بها النساء، ويضربونهن بقسوة مستغلين قوتهم وعضلاتهم، ولكنها ستقطع تلك الأيادي التي امتدت يوما على أنثى وأهانتها، ستأخذ حق بناتها اللتين قتلتا على يد رجل.

وهنا إستيقظت حماتها وكان التلفاز صوته عالي جدا، وفتحت عيونها وأرادت أن تصرخ من هول ما رأت من دماء وأجساد ممزقة، ما هذا! هل تلك الرأس لأبنها الكبير! وتلك الرأس لحفيدها الصغير!، يا للمصيبة، هل ما تراه حقيقي أم أنه وهم وهي تحلم؟!، نظرت إلى إنصاف وتلاقت عيونهما فقالت إنصاف بتحدي:

_ ما رأيك يا بومة في لحم أولادك وأولادهم؟، إن قلوبهم لذيذة عند تناولها أيتها البومة الشمطاء.. وبعدها أطلقت ضحكة عالية وكانت عيونها تلف في جميع الإتجاهات، نظرت لها حماتها ولم تستطع فعل شيء، شعرت بالوخز الشديد في قلبها وعدم القدرة على الكلام، كانت ترى أمامها شيطان رجيم وليست زوجة إبنها الضعيفة التي

كانت دوما تضربها وتهينها ، فسقطت فاقدة الوعي بعد أن شل فمها ونصف جسدها الأيسر تماما، يبدوأن المرأة أصيبت بجلطة دماغية أفقدتها النطق والقدرة على الوقوف فسقطت على الأرض لا تستطيع الحركة، لا تصدق بأن تلك الكومة من اللحم هي لحم أولادها.

ابتسمت إنصاف وتركتها وذهبت لتبدل ثيابها بعد الاستحمام، وأثناء ذلك وضعت أيادى زوجها وعمها وأخي الزوج على النار لتسلق في إناء كبير للماء، أخذت كل الأموال والمصوغات الموجودة بالمنزل، وتلك الصورة الوحيدة الموجودة في قسيمة زواجها وباقي الصور، فكان غير مسموح لها بالتقاط الصور، أخذتها وارتدت البردة السوداء، وهي رداء أسود اللون تتلثم به نساء القرية فلا يظهر منهن أي شيء، وأخذت القليل من ثيابها في كيس أسود، وقبل الرحيل أخذت الأيادى بعد سلقها ووضعتها للكلاب التي تحرس المنزل لتأكلها، وأخذت تنظر للكلاب التي كانت تأكل بنهم وهي تضحك بسعادة وانتشاء، وبعدها ألقت عود ثقاب على الجثث بعد أن اغرقتها بالكيروسين، تلك المادة القابلة للإشتعال، ونظرت إلى عيون حماتها ببرود وهي تردد:

_ سأفعل ما تريدون جميعا سأرحل وأغادر حياتكم.

وبعدها تحركت بهدوء وأغلقت باب الدار الكبير وهي تسمع طقطقة إحتراق الجثث، وتشم رائحة الشواء الذي أشعرها بالجوع الشديد والنهم، فهل تعود لتتذوق اللحم المشوي أم تكمل طريقها؟!.

سمعت آذان المغرب وهو يؤذن مرددا:

« الله أكبر الله أكبر «

وهـي تسير وسـط الحقـول التـي أوشـكت عـلى الظـلام متجهـة إلى سـكة القطـار الحديديـة، كانـت تريـد الرحيـل والبعـد عـن مدينـة بنـي سـويف، ولكـن لم تكـن تعـرف إلى أي مدينـة ستسـافر، سـارت مسـافة طويلـة ولكنهـا لم تشـعر بتعـب، وبعـد سـاعتين مـن السير عـلى أقدامهـا وصلـت لمحطـة القطـار ولحسـن حظهـا كان هنـاك قطـار قـادم مـن سـوهاج ومتجـه إلى القاهـرة، ركبتـه وهـو يتحـرك في آخـر ثانيـة وكادت تسـقط تحـت عجلاتـه بقسـوة، لـولا أحـد الرجـال الـذي مـد يـده لهـا وأنقذهـا في آخـر لحظـة، وهـو يقـول بلهجـة النوبـين التـي تجعـل كل مؤنـث مذكـر:

_ ماذا تفعل يا مجنون، ستقتل نفسك بغباء.

رفعـت رأسـها فوجـدت شـاب أسـمر اللـون كالليـل، طويـل وعريض الكتفـين، تفـوح منـه رائحـة المسـك الطيـب، يرتـدي جلبـاب أبيـض بلـون أسـنانه، فلـم تشـكره، بـل نزعـت يديهـا بشـدة وذهبـت لتبحـث عـن مقعـد خـالي لتجلـس فيـه، ولكـن القطـار كان ممتـلىء، فجلسـت عـلى الأرض بإنهـاك، وهنـا تقـدم منهـا نفـس الشـاب وقـال لهـا:

_ اذهـب واجلـس مـكاني مقعـد رقـم خمسـين لا يصـح أن تجلـس عـلى الأرض بالطريـق.

وأشـار للمقعـد الفـارغ، ذهبـت دون أن تشـكره مـرة أخـرى، وجلسـت عـلى المقعـد وهـي تحتضـن كيـس ملابسـها البلاسـتيك، لقـد كانـت مرهقـة جـدا، فـما فعلتـه أرهقهـا وهـي أصـلا مريضـة ومتعبـة لم تشـفى جراحهـا بعـد وتطيـب، تذكـرت دوائهـا، فلقـد بـدأ جـرح بطنهـا يؤلمهـا، تناولـت الأقـراص بـدون مـاء وبعدهـا نامـت بعمـق ولم تسـتيقظ إلا بعـد عـدة سـاعات، وهـي تشـعر بمـن يهزهـا بعنـف، كانـت السـاعة الثالثـة فجـرا، ففتحـت عينيهـا وهـي تقـول:

_ ماذا حدث؟

فوجدت نفس الشاب الأسمر يقول لها:

_ لقد وصل القطار رمسيس.

رددت هي بعدم فهم:

_ رمسيس من؟

فقال الرجل بدهشة وهو ينظر لها بحيرة:

_ إلى أين أنت ذاهب، لقد وصل القطار محطة القاهرة؟

***

(٦)

نظـرت إنصـاف طويـلا إلى الرجـل وهـو يقـول لهـا بـأن القطـار وصـل محطتـه الأخـيرة بالقاهـرة كانـت السـاعة الثالثـة فجـرا، هـزت رأسـها ولم تتكلـم وقامـت مـن المقعـد فسـمعت صوتـه يقـول لهـا:

_ هل هناك من ينتظرك بالخارج؟

لم تـرد عليـه، بـل اتجهـت لمغـادرة القطـار وأكملـت طريقهـا، ولكنـه اتبعهـا قائـلا:

_ انتظـر، أهـل القاهـرة غـير أهـل الصعيـد، أخـبرني أيـن سـتذهب وسـوف أوصلـك.

فقالت له وهي تنظر لعيونه وتمسك حقيبتها:

_ أريد مكان أعيش فيه، فلقد هربت من أهلي ببني سويف.

رفع الرجل حاجبيه بعدم تصديق وقال لها:

_ مـاذا تقـول؟ يبـدو إن حكايتـك حكايـة، كنـت أشـعر بذلـك وأنـت تـصر عـلى ركـوب القطـار بعـد تحركـه، تعـال معـي وأحـكي لي القصـة في البيـت لا تخـف فأنـا أعيـش مـع أمـي في القاهـرة.

لم يكـن أمامهـا حـل أخـر فذهبـت معـه، وأخبرهـا بـأن أسـمه عثـمان مـن النوبـة ولكنـه يعيـش مـع أمـه بالقاهـرة ويعمـل ممـرض، ولكنـه لم يخبرهـا مـكان عملـه.

ذهبـت معـه وكان يثرثـر كثـيرا ولم يتوقـف عـن الـكلام، ولكنهـا كانـت صامتـة، تنظـر للشـوارع الواسـعة والكبـاري والنـاس مـن نافـذة سيارة الأجـرة التـي اسـتأجرها الرجـل، بعـد نصـف سـاعة توقفـت السـيارة ونـزل عثـمان بعـد أن دفـع أجـرة الرجـل وأشـار للبيـت قائـلا:

_ ها هو منزلي، لم تخبريني ما إسمك حتى الآن؟ فقالت بتردد:

_ إنصاف.

فردد اسمها قائلا:

_ إسم جميل لم أسمعه منذ زمن، هيا تعالي فأمي تنتظر عودتي.

كان المنزل قديم متهالك ودرجات سلمه متآكلة، صعدت إلى الطابق الرابع ورن جرس الباب، وهنا فتحت سيدة نوبية سمراء اللون كبيرة بالسن، رحبت به واحتضنته بشوق كبير ولهفة، ونظرت لها الأم بتعجب، وسألت ابنها:

_ من تكون؟

فقال لها:

_ دعينا ندخل الأول يا أمي، فأنا متعب من السفر والطريق.

دخلا وجلسا في صالون قديم جدا، فقال عثمان موجها كلامه لإنصاف:

_ والآن يا انصاف أخبرينا قصتك؟

اخذت نفس عميق وقالت:

_ لقد كنت متزوجة، ومات زوجي وأنا حامل، وبعد أن فتحوا بطني وأخرجوا الصبي مات هو الأخر، ويريد عمى تزويجي من رجل كبير بالسن في مثل عمر جدى، وأنا لا أريده واكرهه، فهربت. فقالت الأم بعد تأثرها.

مازالت تلك العادات بالصعيد وتزويج الفتاة رغما عنها ودون موافقتها لكونها مطلقة أو أرملة فعليها بالرضوخ، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا تقلقين يا إبنتي، اعتبري نفسك في منزلك، اذهبي واغتسلي من السفر وأبدلي ثيابك، سأعد لك الطعام.

دلتها الأم على الحمام ودخلت هي وأبدلت ثيابها، وخلعت تلك البردة السوداء وارتدت عباية بنية اللون ولفت رأسها بطرحة

صغـيرة وخرجـت لـلأم التـي مـا إن رأتهـا حتـى قالـت:

_ تبارك الله، ما أجملك يا ابنتي، يبدوأنك صغيرة، فكم عمرك؟

فقالت انصاف:

_ عندى عشرون عاما يا خالتي.

هزت الأم رأسها مرددة:

_ مازلت صبية يا ابنتي والحياة أمامك، ولكن أين أمك وأبيك؟

فقالت انصاف بقسوة:

_ ماتـوا، كل مـن اعرفهـم ماتـوا ورحلـوا ولم يتبقـى لي أحـد بالحيـاة، لذلـك هربـت يـا خالـة.

لم تـرد الأم بـل شـعرت بالشـفقة عـلى تلـك الفتـاة المسـكينة، ولكنهـا أيضـا شـعرت بعـدم الراحـة لهـا، بعـد تنـاول الطعـام دلتهـا الأم عـلى غرفة الضيـوف لتنـام فيهـا، وبعـد أن تسـتيقظ مـن عنـاء السـفر سـوف يكملـون حديثهـما، هـزت رأسـها ووقفـت ونظـرت إلى الأم وإبنهـا ثـم قالـت:

أريـد فقـط البحـث عـن مـكان للعيـش فيـه ومـكان للعمـل، لـن أثقـل عـلى أحـد، لا تقلقـون.

فقالت الأم مجاملة:

_ لا تقولين هذا يا إنصاف،ادخلي وارتاحي الآن وبعدها نتحدث.

دخلـت وأغلقـت بـاب الغرفـة خلفهـا بالمفتـاح، ونزعـت ثيابهـا وألقـت جسـدها الهزيـل المرهـق عـلى الفـراش ونامـت بعمـق، لقـد كانـت تشـعر بالأمـان، اسـتيقظت عـلى صـوت الـدق الشـديد عـلى البـاب، فارتـدت ثيابهـا بسرعـة وقالـت بتوتـر:

_ من؟

فقالت الأم:

_ استيقظى يا إنصاف، إنه آذان المغرب يا ابنتي.

لم تصـدق إنصـاف بأنهـا نامـت يومـا كامـلا وكل تلـك السـاعات،

فتحت الباب ولم تضع طرحة فوق رأسها وكان شعرها طويلا يغطى خصرها، ناعم بلون الليل،

لقد كانت الفتاة جميلة ونظر لها عثمان بإعجاب ولاحظت الأم نظراته فقالت الأم بضيق:

_ ضعي شيئا فوق رأسك وتعالي لتتناولي الغداء يا إنصاف.

هزت رأسها ولم ترد، وضعت إيشارب فوق رأسها وخرجت وتناولت الطعام التي كانت الأم تعده، كانت المائدة مليئة بالكثير من الطعام الشهي وما لذ وطاب، أكلت بنهم وبعدها رفعت الأطباق وغسلتها ولم تدع أم عثمان تفعل شيء، وصنعت الشاي الثقيل، وطلبت من عثمان أن يبحث لها عن غرفة تستأجرها وتعيش فيها وعن عمل، رفض عثمان ولكن نظرة من عيون أمه فهم بأنها لا تريدها بالمنزل كثيرا، لا تعرف لماذا، إن الفتاة تبدو محترمة ومن عائلة محافظة، ولكن هناك شيء داخلي لا يحب تلك الفتاة ويرفض وجودها بالمنزل، ستتحملها فقط حتى تستأجر شقة أو غرفة حتى يستريح ضميرها، فلن ترميها في الشارع وهي في النهاية فتاة بائسة ويتيمة .

***

٧ يونيو عام ١٩٩٢ م
محافظة القاهرة

كانت إنصاف تجلس في تلك الغرفة التي أستأجرها لها عثمان فوق سطح المنزل المقابل لمنزله، ووجد لها وظيفة في المكان الذي يعمل فيه، وكانوا لا يحتاجون شهادة دراسية لها، المهم أن تكون قوية القلب وتتحمل ما ستراه، ولقد رأى منها الشجاعة عندما قفزت للقطار ولم تخاف أن يدهسها أسفل عجلاته، فهي لا تهاب الموت، وهم يريدون مثلها في العمل، فالكثير من السيدات اللاتي حاولن العمل لم يتحملن العمل ليوم واحد.

فقلوبهن كانت هشة وضعيفة ولكن هو يعرف بأن إنصاف التي هربت من عائلتها من إحدى قرى الصعيد ولم تخف من أحد لن تخاف من جثث، فلقد كان عثمان يعمل ممرض في مشرحة زينهم، يستقبل الجثث ويضعهم في ثلاجة حفظ الموتى، وكانت المشرحة يرد إليها العديد من الجثث المحروقة والمذبوحة والمطعونة والممسوح معالمها بسبب الغرق، والمشوهة بالأحماض، والمقتولة بالرصاص والسكين، العديد من الجثث والكثير، ونهايتهم جميعا واحدة، أجساد لا تتحرك فارقت أرواحهم الحياة، كانوا يحتاجون عاملة نظافة ولقد وافقت إنصاف على الوظيفة، بل وأعجبتها، وهي ترى جثث الرجال مشوهة كانت تشعر بالإنتشاء كلما رأت جثة رجل قادمة للمشرحة، ولقد تعلمت الكثير عن حفظ الجثث ووضعها في مادة رائحتها كريهه تسمى الفورمالين، وتلك المادة تحفظ الجثث سليمة ولا تتأثر.

***

٣٠ يونيو ١٩٩٢ م
باب الشعرية – محافظة القاهرة

دق عثمان باب غرفة إنصاف قائلا لها:

_ أريد الحديث معك قليلا، هل تأتي وتتناولين طعام العشاء معنا، فأمي تنتظرك.

لم تقل لا، بل ذهبت معه بعد إبدال ثيابها، تعلمت أن ترتدي مثل بنات مصر، حتى لا يتعرف عليها أحد، وأثناء تناول الطعام، قال عثمان وهو يتحدث عن نفسه:

_ هل تعرفين يا إنصاف بأنني كنت متزوج من قبل، ولكنني طلقتها لأنها كانت بور وعاقر لا تنجب.

فردت الأم بتلقائية:

_ كانت كالبومة ربي يسامحها وأرضها بور وخراب، لا تصلح لزرع بذرة.

نظرت لهم إنصاف ببرود وآلية، وقامت لتذهب لغرفتها، فأستوقفها عثمان قائلا:

_ إنصاف، هل تتزوجينني؟

نظرت له ببرود وقالت بجمود:

_ سأفعل ما تريدون.

لم يفهم ردها، ولكنه يعني بأنها موافقة، شعر عثمان بالسعادة وذهب ليوصلها لغرفتها، ولكن أمه قالت له أن يصرف الموضوع عن عقله فهي ليست مستريحة للفتاة، ففيها شيء مخيف ونظراتها باردة، وليست فيها روح ولا حياة، كما أنهم لا يعرفون عنها الكثير، ولا عن أهلها ببني سويف، ولكنه كان مصر، فلقد أعجبته منذ أن

تحدت الموت لتستقل القطار باحثة عن حياة جديدة. ولن يتخلى عنها، سيعطيها تلك الحياة، هو متأكد بأن إنصاف لن تخاف منه وتتشاءم كما فعلت زوجته السابقة، ورفضت أن تكمل معه، وطلبت الطلاق،فكانت ترفض أن يقترب منها لأنه يتعامل مع الجثث والموتى، هي لم تكن عاقر ولكنها كانت تخاف لمساته لها، فأضطر لتطليقها، ولكن إنصاف لن تفعل، فهي تحب عملها كثيرا، وإن تزوجها ستنجب منه أطفال أقوياء لا يخافون من شيء ولا من الموت .

عادت هي إلى غرفتها ونيران الغضب تحرقها وتكويها من الداخل، وهي تتذكر كلمات عثمان وأمه عن زوجته السابقة وعن عقمها، مسكت بطنها مكان جرحها بقسوة واعتصرته بين يديها، وبعدها استخرجت تلك الزجاجات من الفورمالين التي كانت تسرقها من المشرحة، نظرت لتلك المادة الشفافة كالماء وهي تقول:

_ هل ستحتفظين بالأيدي سليمة كما أريدها، فهم لا يستحقون سوى قطع أيديهم جميعا.

***

٣٠ يوليو عام ١٩٩٢ م
باب الشعرية – القاهرة

كان حفل زفاف صغير، ارتدت فيه إنصاف ثوب وردي، وارتدى عثمان جلباب أبيض، وبعد أن رحل المدعوين وذهبت أم عثمان لتجلس عند أحد أقاربها لتترك العروسين في ليلة الزفاف ليستمتعما، وعندما خلا المنزل من المدعوين، فتح عثمان هاتفه الجوال على أغنية لأم كلثوم بصوت عال، فهو يعرف بأنها تعشق الإستماع لكوكب الشرق، وكانت أغنية ألف ليلة وليلة والست تردد بصوتها القوي قائلة:

حبيبي يا حبيبي..
الليل وسماه ونجومه وقمره وسهره..
وإنت وأنا يا حبيبي..
أنا يا حياتي أنا يا حبيبي..
كلنا في الحب سوا...
والهوى آه منه الهوى...
سهران الهوى يسقينا الهنا ويقول بالهنا..
يا حبيبي ياله نعيش في عيون الليل...
ونقول للشمس تعالي، تعالي...
بعد سنة، مش قبل سنة..
دي ليلة حب حلوة..
بألف ليلة وليلة..

لم ترد بل نظرت ببرود ، بل ذهبت مسرعة إلى المطبخ وأحضرت الطعام، وقالت بهدوء:

_ تناول طعام العشاء، لقد أعددته لك بنفسي.

فنظر لها بشوق وقال بلهفة، وهو يمسك يديها:

_ ما رأيك ندع الطعام لما بعد يا إنصاف؟

فردت ببرود:

_ تناول طعامك يا عثمان لقد أعددته من أجلك.

ومدت يديها إليه بدجاجة، وهي تكمل قائلة:

_ لقد تبلتها لك بيدي.

رفض أن يحرج يديها وتناول منها الدجاجة، وأخذ يأكل فيها وهو ينظر لها طويلا بشوق، وأم كلثوم تردد بصوتها العذب قائلة:

ونقول للشمس تعالي، تعالي..

بعد سنة، مش قبل سنة

دي ليلة حب حلوة

بألف ليلة وليلة

بألف ليلة وليلة..

ومدت يدها بعصير المانجو المثلج، شرب وهو ينظر لها باشتياق ولهفة شديدة وهي تنظر له ببرود ولا مبالاة، دخلت الغرفة وهي تردد :

_ سأبدل ثيابي، سأفعل ما تريدون جميعا.

وعندما خرجت من الغرفة كانت ترتدي ثوب أسود اللون، وتلف شعرها بإيشارب أسود اللون وكان عثمان يغط في نوم عميق ومنكفىء على وجهه على الطبق بعد أن تناول الطعام والعصير الذي وضعت له فيه المنوم، نظرت له بتقزز وأحضرت السكين من المطبخ ورفعت الرأس للخلف بعد أن جذبته من شعره بقسوة، وبعدها قامت بنحره من عنقه، بقطع الوريد الودجي بالرقبة حتى فصلت الرأس تمام عن الجسد، وخرجت الدماء كالنافورة من عنقه لتملأ

الأرض، بعدهـا قامـت بغـرس ذلـك الخطـاف في لحـم قدميـه وربطـت طرفـه بالحبـل، وقامـت بجـذب الحبـل في تلـك العقلـة مـن الحديـد بالسـقف في منتصـف الصالـة، فقامـت برفـع الجسـد وتعليقـه كالذبيحـة بعـد أن جردتـه مـن جلبابـه الـذي اتسـخ بالدمـاء الحمـراء، واصطبـغ لونـه تمامـا، وربطـت الحبـل في بـاب الغرفـة المغلـق، وبعدهـا قطعـت كفـي يديـه ووضعتهـما في ذلـك البرطـمان الـذي يخللـون فيـه المخلـل وكانـت تملأه بالفورمالـين.

لتحتفـظ بهـما سـليمتين، قامـت بشـق القفـص الصـدري لتخـرج أمعـاء الرجـل وتتدلـلى عـلى الأرض كالديـدان، ولكنهـا كانـت تريـد القلـب، فلقـد اشـتاقت لتـذوق قلـب طـازج، لقـد ملـت مـن سرقـة القلـوب المتعفنـة لجثـث المـوتى مـن الرجـال الملقـاة بالمشرحـة بعـد تشريـح الجثـة وإخـراج قلوبهـا، لم يكونـوا يلتفتـون أصـلا لغيـاب قلـوب الجثـث، فكانـت هـي تأخذهـا لتتناولهـا ليـلا، ولكنهـا ليسـت بطعـم القلـوب الطازجـة التـي مازالـت تنبـض وهـي تقـلى بالزيـت الحـار والفلفـل والليمون،قامـت بإعـداد قلـب عثـمان بالزيـت وبعدهـا تناولتهـا بنهـم، وبعـد كـوب مـن الشـاي الثقيـل، قـررت الرحيـل، فلقـد قتلـت رجل مـن القاهـرة وانتقمت في نظرهـا مـن كل رجـال القاهـرة، وكانـت سـعيدة وتشـعر بالنشـوة وأبدلـت ثيابهـا وأخـذت ملابسـها وكل الأمـوال التـي مـع عثـمان وكانـت معهـا ومصـاغ أمـه، ورحلـت متسـترة بسـواد الليـل، فلقـد كانـت السـاعة الثالثـة والنصـف نظـرت للسـاعة، وإبتسـمت بسـخرية، فلقـد دخلـت ذلك المنـزل في نفـس الموعـد تقريبـا وخرجـت منـه بنفـس التوقيـت. إبتعـدت عـن المنطقـة وهـي تحمـل حقيبتهـا السـوداء وبداخلهـا ذلـك البرطـمان الكبـير الـذي يـد عثـمان يسـبحان في الفورمالـين.

واتجهـت إلى محطـة رمسـيس مـن جديـد فلقـد عرفـت طريقهـا جيـدا، محافظـة جديـدة لتقتـل رجـل فيهـا جديـد وتنتقـم مـن جميـع

الرجـال بقتـل رجـل منهـم. اسـتقلت سـيارة الأجـرة وهـي تقـول للسـائق:

_ أريد الرحيل الى محافظة أخرى، غير القاهرة.

نظـر لهـا السـائق بتعجـب وإلى تلـك الحقيبـة بـين يديهـا وطريقتهـا ولهجتهـا الصعيديـة بالـكلام، وكلامهـا الغريـب، فهـي لا تعـرف إلى أيـن تريـد الذهـاب ولا تعـرف وجهتهـا، كان الوقـت متأخـرا جـدا ولم لا؟فـكل شيء كان مناسـب جـدا وسـتر الليـل يغريـه، فالفتـاة الجميلـة لا تعـرف إلى أيـن سـتذهب ولكنهـا تريـد فقـط البعـد عـن القاهـرة في ذلـك الوقـت المتأخـر، فقـال لهـا بطريقـة ذات معنـي:

_ هل تأتين معي شقتي لتقضي بعض الوقت وتستمتعين؟

فقالت له:

_ وهل تسكن بالقاهرة؟

رد مسرعا بلهفة:

_ لا أنا أسكن بمحافظة الجيزة، بمنطقة فيصل.

_ وهل سنركب القطار لنذهب هناك؟

ابتسـم لسـذاجتها، فهـي لا تعـرف شيء، يبدوأنـه اصطـاد شـيئا ثمينـا وسيسـتمتع كثـيرا ويقـضي وقـت ممتـع معهـا.

_ ا سنذهب بالسيارة.

فأكمل قائلا لها:

_ ما اسمك؟

_ إنصاف السيد عبد السلام.

_ اسمك جميل كوجهك يا فتاة، هل انت متزوجة؟

فقالت:

_ لقـد هربـت مـن أهـلي، يريـدون تزويجـي رغـما عنـي بعـد مـوت زوجـي وليـس لي أحـد هنـا.

فـرد بلهفـة وهـو يظـن بأنـه وقـع عـلى صيـد ثمـين حقـا ليـس لهـا

مـن سيسـأل عليهـا، وتبـدو الفتـاة جميلـة وممشـوقه القـوام.

_ هـل تأتـين معـي شـقتي برغبتـك، سـأجعلك تنسـين كل المـاضي في ليلـة واحـدة.

ردت عليـه وهـي تنظـر بـبرود لتلـك الأبتسـامة السـمجة عـلى شـفتيه قائلـة بجمود:

_ سأفعل ما تريدون جميعا.

نظـر الرجـل لهـا بتعجـب مـن ردهـا الغريـب، فليسـت هـي الإجابة التـي كان يـود سـماعها، ولكـن المهـم بأنهـا وافقـت بإرادتهـا، سـتأتي معـه إلى شـقته دون معانـاة، وهـذا هـو المهـم الآن، فقـال لهـا:

_ إسمى الأسطى حسن النمر، يمكنك مناداتي بأبو سمرة.

نظـرت لـه بـبرود ولم تـرد، ولكنهـا أخـذت تنظـر لتلـك الكبـاري والشـوارع الخاليـة مـن المـارة، وكانـت تشـعر بالجـوع الشـديد، فلقـد هضـم قلـب عثـمان سريعـا، فهـل بسـبب طيبتـه المفرطـة؟، فهـل قلـوب الطيبـون سريعـة الهضـم،؟، ونظـرت للسـائق كانـت تـراه يشـبه الثعالـب، فنظـرات عيونـه ماكـرة، فهـل سيسـد قلبـه شـبعها يـا تـرى؟.

***

(٧)

١ أغسطس عام ١٩٩٢ م
فيصل – محافظة الجيزة

توقـف الأسـطى حسـن أمـام منـزل قديـم مكـون مـن دور واحـد في منطقـة شـبه منعزلـة بجـوار أرض كبـيرة فارغـة وفيهـا العديـد مـن أكيـاس القمامـة والكثـير مـن الـكلاب، وكان البيـت تقريبـا هـو الوحيـد بالمنطقـة، تلفـت الرجـل يمينـا ويسـارا، وفتـح لهـا بـاب السـيارة قائـلا:

_ إنزلي بسرعة يا إنصاف قبل أن يراك أحد.

نزلـت بلامبـالاة وهـي تحتضـن حقيبتهـا السـوداء بقـوة، فتـح بـاب المنـزل وكان المدخـل مغلـق، وقـال لهـا:

_ لا تخافي،انتظري سأنير المكان.

وبعدهـا ضغـط عـلى زر فأنـار المدخـل وكان مليئـا بالقـاذورات ورائحتـه كريهـة، فتـح بـاب الشـقة بجـوار الـدرج وقـال لهـا:

_ تعـالي ادخـلي واعتـبري المنـزل منزلـك، لا تخـافي لا يعـرف أحـد شيء عـن المنـزل ولا حتـى تلـك الأرنبـة في المنـزل، التـى لا تعـرف سـوى إنجـاب الأطفـال.

وأطلق بعدها ضحكة عالية ساخرة..

_ سـأضع السـيارة بالجـراج وأحـضر بعـض الطعـام، لـن أتأخـر حتـى تبـدلي ثيابـك.

دخلـت بلامبـالاة وكلماتـه أثـارت غضبهـا كثـيرا، أغلـق عليهـا بـاب

المنـزل بالمفتـاح مـن الخـارج، وبعدهـا سـمعت إغـلاق البـاب الحديـد للمدخـل وذهابـه بالسـيارة.

دخلـت الشـقة كانـت قـذرة جـدا والكثـير مـن بواقـي الطعـام والحـشرات في كل مـكان، كان هنـاك غرفـة صغـيرة فيهـا فـراش وخزانـه ثيـاب، وبعـض ملابـس النسـاء الداخليـة ملقـاة عـلى الأرض، أخـذت تتجـول بالمـكان ونظـرت للسـقف وكان هنـاك حلقـة معدنيـة مثبتـه في اعـلى الجـدار، دخلـت المطبخ فوجـدت فـأر يجـري مسرعـا، مسـكته مـن ذيلـه وأخـذت تنظـر لعيونـه المذعـورة بـين يديهـا وقلبـه الـذي يـدق بسرعـة، فقالـت لـه:

_ هـل أنـت ذكـر أم أنثـى؟، إن كنـت ذكـر أكلتـك وإن كنـت أنثـى تركتـك.

وهنا حاول عض إصبعها.

فقالت:

_ يبدوأنك ذكر لعين.

فأمسـكت الـرأس الصغـير بيديهـا الأخـرى وأعادتهـا للخلـف مـرة وأحـدة ففصلتهـا، وبعدهـا وضعتهـا في فمهـا وأخـذت تلوكهـا بـين أسـنانها، وألقـت بالجسـد أرضـا، وهـي تـردد:

_ جرذ لعين..

وجـدت أسـفل الحـوض حبـل سـميك، أخذتـه وأخرجتـه مـن أسـفل الحـوض، وكان هنـاك مكنسـة وجـاروف، أحضرتهـم وذهبـت ونظفـت الشـقة بسرعـة ، فلقـد كانـت تحـب النظـام والنظافـة منـذ صغرهـا، ومسـحت الشـقة، وبعدهـا دخلـت لتغتسـل وتبـدل ثيابهـا، وعندمـا خرجـت وكان شـعرها مفـرود تتسـاقط منـه قطـرات المـاء وترتـدي ثـوب ضيـق وجدتـه أمامهـا ينظـر لهـا بشـغف، فقـال لهـا:

يبـدو أنـك لسـت جميلـة فقـط يـا إنصـاف، بـل نظيفـة ونشـيطة

أيضـا، فكيـف نظفـت كل الشـقة في أقـل مـن نصـف سـاعة؟!
لم ترد بل كانت تنظر للطعام بين يديه والأكياس فقالت له:
_ دعني أعد الطعام لك.
ترك لها الأكياس وقال لها:
_ سأبدل ثيابي وجهزى أنت الطعام سريعا، فأنا جائع ومشتاق.
فقالت له بلامبالاة وجمود:
_ سأفعل ما تريدون جميعا.
لم يهتـم بكلامهـا الغريـب، لقـد أثـاره غموضهـا وشـعرها المبتـل، أعـدت الطعـام وخـرج هـو وكان يرتـدي سروال قصـير فقـط، ولايرتـدي شيء آخـر، نظـرت لـه بـبرود قائلـه:
_ تناول طعامك.
أخذ يأكل من الطعام الساخن الذي أحضره.
وقالت له:
_ سأبدل ثيابي.
فقال بتعجب:
_ ألم تأكلي معي يا إنصاف؟
نظـرت لـه بـبرود ولم تـرد، ودخلـت للغرفـة وأغلقـت البـاب خلفهـا، وأخـذ هـو يتنـاول طعامـه ويمنـي نفسـه بليلـة حمـراء، خرجـت بعـد قليـل وقـد ارتـدت ثـوب أسـود اللـون ولفـت رأسـها بإيشـارب أسـود قصير، وكان هـو منكفـىء عـلى رأسـه ويغـط في نـوم عميـق بعـد أن تنـاول الطعـام الـذي وضعـت فيـه المنـوم.
أخرجـت سـكينتها الحـادة مـن حقيبتهـا وكانـت مازالـت دمـاء عثـمان عالقـة فيهـا، فلـم تنظفهـا، نظـرت بتقـزز ودخلـت دورة الميـاة نظفـت السـكين جيـدا وعـادت للرجـل.
لا تـدري فاحتقارهـا لمـا كان يريـد فعلـه معهـا وخيانـة زوجتـه

جعلهـا تشـعر بالبشـاعة، فنظـرت لـه طويـلا، وقالـت:
_ سأجعلك تستمتع كما تريد.

كممـت فمـه بقطعـة مـن القـماش القـذر الـذي وجدتـه في القمامـة بالمطبـخ، وبعدهـا ربطـت قدميـه بالحبـل جيـدا، وصعـدت فـوق أحـد المقاعـد وأدخلـت الحبـل في تلـك العقلـة الحديـد بالسـقف، وبعدهـا جذبـت الحبـل بقـوة وارتفـع جسـد الرجـل عاليـا، وبعدهـا ربطـت طـرف الحبـل في مقبـض بـاب الغرفـة، وأخـذت تنظـر لذلـك الجسـد المتـدلي أمامهـا معلـق كالذبيحـة مـن قدميـه، وكان هنـاك مذياع قديـم قامـت بفتحـه وكانـت اغنيـة قديمـة لكوكـب الـشرق أم كلثـوم تدنـدن بصوتهـا الرائـع، وضعـت سـيجارة في طـرف فمهـا مـن سـجائر عثـمان التـي احتفظـت بهـا وأشـعلتها وهـي تدنـدن النغـم الرائـع لبليـغ حمـدي قبـل ان تبـدأ السـت بالغنـاء.

وبعدهـا أخـذت تنظـر ليـدي الرجـل المتدليتـين، وذهبـت للمطبـخ أشـعلت النـار عـلى الموقـد القـذر، ووضعـت سـكين كبـير كان موجـود عـلى الحـوض وجدتـه وهـي تنظـف وجعلتـه يسـخن حتـى إحمـر لونـه، مسـكته مـن طرفـه البـارد وخرجـت، وقامـت بقطـع إحـدى يـدي الرجـل مـن الكـف مـرة واحـدة بالسـكين الملتهـب، وهنـا إسـتيقظ الرجـل مـن شـدة الألم وفتـح عينيـه بذعـر، لا يصـدق مـا يحـدث لـه وهـو يـرى كل شيء مقلـوب أمامـه وهـو معلـق مـن قدميـه كالذبيحـة بـلا ثياب،وصـوت أم كلثـوم يـردد مـن حولـه

فات الميعاد..

وكانـت الفتـاة التـي أحضرهـا منـذ قليـل تمسـك يديـه المقطوعـة بـين يديهـا وتبتسـم مـرددة:
_ سأفعل ما تريدون جميعا..

لقـد نـدم الرجـل عـلى مـا فعـل ومـا كان ينتويـه مـن إغضـاب اللـه

وفعـل الفاحشـة، وخيانـة زوجتـه، لقـد فعلهـا كثـيرا ولكنـه الآن نـادم عندمـا رأى المـوت بعينيـه ويريـد التوبـة، حـاول الـصراخ، كان الألم شـديد لا يحتمـل، ليـأتي أحـد وينقـذه مـن تلـك المخبولـة التـي قطعـت يديـه بـلا رحمـة ولا ذرة ضمـير، ولكـن فمـه كان مقيـدا، ولم يسـتطع فعـل شيء سـوى سـماع أم كلثـوم وهـي تـردد:

فات الميعاد..

فات الميعاد..

وتفيد بأيه الندم..

يا ندم...

وتعمل ايه يا عتاب..

طالت ليالي الألم..

واتفرقوا الاحباب..

وكفاية بقى تعذيب وشقى...

وكأن أم كلثـوم كانـت تشـعر في تلـك اللحظـة بمـدى ألمـه وعذابـه، ومـا بداخلـه مـن نـدم وحـسرة عـلى مـا كان يفعـل، لـترد عليـه بصوتهـا القـوي وصوتهـا يـتردد في أذنـه قائلـة :

تعتب عليا ليه...

أنا بأيديا ايه...

تعتب عليا ليه..

انا بايديا ايه...

فات الميعاد...

فات الميعاد..

إقتربـت هـي بلامبـالاة مـن اليـد الأخـرى وقامـت ببترهـا بهـدوء

شديد واستمتاع، وهنا أغراها الجسد العاري للرجل وصوت الست الرائع مازال يردد:

تعتب عليا ليه..

أنا بإيديا ايه..

فات الميعاد..

لتحفر باستمتاع وفن بتلك السكين فوق صدره وتجرب هل سيتألم عند الحفر على لحم الصدر؟ أخذت تحفر بمدية صغيرة وجدتها بمطبخ الرجل وهي تستمع للموسيقى البديعة لبليغ حمدي بهيام وتدندن، وكتبت

«سأعود إليكم - سأفعل ما تريدون.»

كانت صورة إبن زوجها صدام في عقلها وهي تكتب العبارة، فسوف تعود يوما من أجله لتأكل قلبه وتحرم حسان من نسل يحمل إسمه كما فعل معها، أخذ الرجل يحاول المقاومة، وهنا زاد غضبها، فتحولت لبركان ثائر، فجذبته من شعره القصير للخلف، وقامت بنحره مرة واحدة وقطع رقبته، وأمسكتها بين يديها بتقزز وإلى تلك العيون المذعورة والهلع المرسوم فيها، فقامت بفقأ العينين بسكينتها الصغيرة وهي تردد خلف كوكب الشرق أم كلثوم مرددة

بس أنا نسيت الابتسام..

زى ما نسيت الآلام...

والزمن بينسي حزن وفرح ياما...

وبعدها دخلت وأحرقت الرأس على النار بتلذذ ونشوة، وخرجت للجسد المعلق أمامها قامت بشق البطن وبقرها مرة واحدة لتخرج أمعاء الرجل أرضا ، وتركت الصدر سليما، بكلماته المحفورة

على اللحم، أدخلت يديها باحثة عن قلب الرجل، ومازال الصوت يردد بعذوبة مقطع:

تفيد بإيه يا ندم..

وتعمل ايه يا عتاب..

طالت ليالي الألم..

واتفرقوا الأحباب..

وهنا أخرجت القلب بقسوة وهي تتذكر طفلتيها اللتين لم ترهما حتى ولم تشم رائحة شعرهما، وبعد إخراج قلب الرجل، نظرت له طويلا والدماء تملأ يديها، وهنا تذكرت حسان زوجها السابق وما فعله معها، وكيف قام يوما بقطع عقلة من إصبعها الصغير من يديها اليمنى عندما ضربها بالساطور وهو يقطع أضحية العيد الكبير، وعندما رفعت يديها لتحمي وجهها طارت عقلة إصبعها يومها في العيد لتختلط مع دم الأضحية، نظرت للإصبع المبتور وتنهدت بحرقة، وبعدها دخلت المطبخ وقامت بطهي القلب بالزيت والملح والفلفل الأسود والليمون وتناولته، وبعدها صنعت كوب من الشاي الثقيل، وأخذت تنظر طويلا لجسد السائق وهي تستمع لكلمات الست الرائعة وتزفر دخان سيجارتها بقوة متنهدة، لقد كانت الست تعبر عما بداخلها من نار وحسرة وكأنها تناجيها وتغني من أجلها هي فقط، وتعلم ما بداخل قلبها من ألم وعذاب على فراق طفلتيها،وذلك العذاب الذي عاشته في حياتها، وسهرها الليالي ومعاناتها في أغنية فات الميعاد التي تعبر عما يجول بخاطرها بتلك اللحظة تماما، فأم كلثوم تغني لكل شخص على حدة وكأنها تغني له هو فقط، وتجسد قصته دون العالم أجمع وتعرف ما بداخله من مرار وألم كان الصوت يردد بقوة ...

الليل الليل...

ودقة الساعات تصحي الليل..

وحرقة الآهات في عز الليل...

وقسوة التنهيد..

والوحدة والتسهيد..

لسه مهمش بعيد..

وعاوزنا نرجع...

زى زمان...

قول للزمان...

ارجع يا زمان...

تفيد بإيه يا ندم..

وتعمل إيه يا عتاب..

طالت ليالي الألم..

واتفرقوا الأحباب..

وكفاية بقى تعذيب وشقى..

ودموع في فراق..

ودموع في لقا...

تعتب عليا ليه

انا بإيديا إيه...

فات الميعاد...

كانت تستمع بتأثر كبير وذكريات الماضي تمر أمام عينيها كشريط وفيلم سينمائي، الضرب.. الإهانة.. قطع إصبعها.. إزالة رحمها.. والنهاية موت طفلتيها دون رؤيتهما.. عندما وصلت الست أم كلثوم بصوتها الرائع إلى مقطع:

من ناري وطول لياليا..

وفرحة العزال فيا

وقسوة الدنيا عليا...

بيني وبينك هجر وغدر..

وجرح في قلبي داريته..

بيني بينك..

ليل وفراق...

وطريق..

إنت اللي بديته..

تفيد بأيه..

يا ندم..

وتعمل ايه يا عتاب..

طالت ليالي الألم...

لم تستطع إنصاف أن تكمل باقي الأغنية، فقامت وألقت المذياع القديم على الأرض بقسوة، لتحطمه وهي تقول:

_ فات الميعاد.. فات الميعاد، سآكل قلبك يا صدام حتى لو كان آخر شيء أفعله في حياتي، فلن يكون لحسان أي نسل وذرية، وسأقتل كل الرجال بالكون، فهم لا يستحقون الحياة ولا الهواء، إن كان بإمكانها أن تمنع عنهم الهواء لمنعته عنهم، ولكنه ملك الله وحده، ومن شدة غضبها أخذت السكين وأخذت تطعن جثة السائق المعلقة ومتدلي ما في بطنها في أسفل ظهره بقسوة، وبعدها أسرعت للمطبخ وأحضرت قطعة من القماش المشتعلة، وأشعلت النيران في جسد الرجل، كانت غاضبة، ثائرة، ولكن النار لم تحرق سوى شعيرات الرجل التي تملىء جسده و لم تحرق اللحم كاملا، لم تبالي، فرائحة الشعر المحترق جعلتها تهدأ قليلا، أخرجت سيجارة من علبة سجائر الرجل ووضعتها في فمها، لأن سجائر عثمان نفذت كلها، وبعدها إتجهت للغرفة لتنام قليلا، وعندما فتحت مقبض باب الغرفة وحركته

سقطت الجثة المعلقة من أقدامها على الأرض مرة واحدة، لم تبالي، أحضرت ثياب نظيفة وبعدها إغتسلت وأبدلت ثيابها، وغطت في نوم عميق من التعب والإرهاق، أخبرها السائق قبل موته بأن تلك الشقة في مكان معزول لا يعرف عنه شيئا من أقاربه ولا حتى زوجته، وأم أطفاله أو الأرنبة كما وصفها لكثرة ولدها، ويقوم فيه بفعل ما يريد بعيدا عن أعين الناس، والغريب بأن نهايته كانت بعيدا أيضا عن أعين الناس، فلما هو غاضب؟

***

استيقظت على صوت آذن الظهر، وهو يردد «الله أكبر..الله أكبر»، فقامت من الفراش وخرجت للصالة وزفرت بغيظ عندما شاهدت كفين السائق مازالتا على المنضدة ولم تضعها بالفورمالين، أخرجت البرطمان الذي في حقيبتها، ووضعت فيه الكفين ليسبحان مع اختيهما، ونظرت إلى جسد الرجل الملقى على الأرض طويلا، وقررت الرحيل ولكنها كانت جائعة، استخرجت كبد الرجل وكان مازال بداخل البطن لم يخرج مع الأمعاء، أدخلت يديها واستخرجته وقامت بطهيه، وتناول الطعام وبعدها كوب من الشاي الثقيل وبعدها دخلت أبدلت ثيابها وحملت حقيبتها السوداء التي تحوى تلك السكين الحادة بعد تنظيفها جيدا، وبرطمان الفورمالين، وثيابها القليلة، وأخذت ما في محفظة الرجل من مال ورحلت لمحافظة أخرى، ولكنها أخرجت تلك الورقة الكبيرة التي كتبت فيها كل محافظات مصر ووضعت علامة صح على الجيزة، كما وضعتها على محافظة القاهرة.

أكملت مهمتها في محافظتين بنجاح وعليها إختيار محافظة جديدة، نظرت لكل تلك المحافظات وقالت:

_ الإسكندرية.. لقد تمنيت منذ الصغر أن أرى البحر يوما، وآن الآوان لأحقق ما أريد قبل فعل ما يريدون.

(8)

٥ من سبتمبر عام ١٩٩٢م
الأنفوشي – الأسكندرية

قال بغضب شديد:

_ ماذا تقول يا ولدى؟، هل تريد أن تتزوج غجرية من الحلب لا نعرف من أين أتت وما مدينتها وأصلها وفصلها؟

قال الابن بانفعال:

_ ماذا تقول يا أبي!، وما أدراك أنت بالحلب والغجر لا أفهم، فإنصاف تعيش معنا منذ أكثر من شهر، وتعرف أخلاقها جيدا، فلم ترفع عينيها في أحد، وتساعدنا في المراكب منذ وطئت أقدامها بحري وعرفنا قصتها وقصة موت زوجها وهروبها من أهلها لأنهم يريدون تزويجها رغما عنها من رجل كبير في عمر والدها، ولم تجد من يدافع عنها بعد موت والديها.

زفر الأب بغضب:

_ ومن أدراك بأن قصتها حقيقية يا ولدي، لقد أخبرني الريس عويس بأنها ربما حلبية وهربت من أهلها في الصعيد، اصبر لنتأكد من قصتها أولا، فقلبي لا يرتاح لها ولا لنظرات عيونها أبدا.

شعر حمدي بالغضب:

_ يا أبي، أنت يا ريس الصيادين يا من يلجأ له المحتاج وينصفه، يا ريس عبد الواحد يا كبير صيادين بحري ورأس التين وربما الأسكندرية كلها.

ابتسم الأب لكلام أبنه الصغير قائلا:

_ يا حمدي أنا لا أقل شيء بطال لا سمح الله عن الفتاة، فهي تعيش معنا منذ شهر، وأشهد لها بالأخلاق والسمعة الطيبة والنشاط والحركة فالفتاة قوية كالرجال وتقوم بأعمال الصيد معنا وتساعدنا بالمراكب ولا تشتكي ولا تمل ولا حتى تتعب، ولا تقول كلمه ألم فهي قوية كالفولاذ، ولا ترفع صوتها على أحد، فهي نظيفة ومرتبة كما تقول أمك عنها وتشهد لها، ولقد أجرت لها الغرفة فوق سطح منزلي عندما جاءت وطلبت مساعدتي ولم أرفض، فلم أردها وأغلق بابي في وجه أحد، ولكن لما يا ولدي تتزوج من عزباء لا نعرف أصلها ولا حكايتها؟!

رد حمدي بعناد:

بعد موت زوجتى رحمها الله لم تعجبني أي إمرأة وتملأ عيني إلاإنصاف فيها شيء غريب يجذبني إليها يا حاج عبد الواحد وأريدها زوجه لي لتربي بنتي، فأنت لا تعرف كيف تتعامل معهما وتحبهما وتشتري لهما بكل يوميتها الحلويات لترهما يضحكان فقط، فمنذ رحيل أمهما لم يعطف عليهما أحد كما تعطف عليهما إنصاف وكأنهما بناتها حقا، وهذا ما يجعلني أريد الزواج منها فلا يهمني قصتها يا أبي.

لم يرد الرجل فلقد رأى بعينه كيف تعامل إنصاف الطفلتين وتحبهما بصدق وتحضر لهما بكل ما تأخذه من يوميه حلويات، والطفلتان تعلقتا بها حقا وأحباها، فلم تعطف عليهما أي أمرأة إختارها لأبنه ليتزوجها غير تلك المرأة هو يعرف، ولكن هناك شيء لا يريحه في إنصاف ويجعله ينفر منها رغم أدبها.

وبعد محايلات وشد وجذب وافق الأب على تلك الزيجة، وقال حمدي لإنصاف وهما في رحلة الصيد في عرض البحر:

_ هـل تقبلـين الـزواج منـى وأن تصبحـي أم لبنـاتي؟ نظـرت لـه وكادت أن تبتسـم لـولا أن أكمـل قائـلا:

_ أريـد أن أنجـب الولـد، أخ لهـما ليكـون سـند لهـما وعـكاز يتسـندون عليـه وسـند لي عندمـا أكـبر، فالفتيـات ليسـتا سـند ولا عـزوة يـا إنصـاف، فهـم مصائـب وابتـلاء مـن اللـه حتـى يكـبرن، نظـرت لـه بـبرود شـديد قائلـة:

_ سأفعل ما تريدون جميعا.

نظـر لهـا بدهشـة، فردهـا كان غريـب ولا يتناسـب مـع الموقـف، فهـو وحـده مـن طلبهـا للـزواج، ولكنـه إعتـبره ردا بالموافقـة، فضحـك بسـعادة وقـال لهـا:

_ مـا رأيـك بالأسـبوع المقبـل نعقـد القـران وندخـل؟ نظـرت لـه بلامبـالاة مـرددة بجمـود :

_ سأفعل ما تريدون جميعا..

***

١٥ من سبتمبر ١٩٩٢م
الأنفوشي – الأسكندرية

في حفـل بسـيط فـوق سـطح منـزل شـيخ الصياديـن الريـس عبـد الواحـد، تـم زواج حمـدي إبنـه عـلى إنصـاف، وكانـت ترتـدي ثـوب وردى اللـون وتلـف شـعرها بطرحـة ورديـة، وكانـت الطفلتـان سـعيدتين بـزواج أبيهـما مـن إنصـاف، فهـما يحبونهـا بشـدة، فهـي تحـضر لهـما الكثـير مـن الحلـوى والألعـاب.

بعد إنتهاء العرس دخل الزوجان الشقة، وقالت إنصاف للرجل:

_ سأعد لك الطعام.

فقال لها:

_ ولكنني تناولت طعام العشاء مع الرجال منذ قليل.

فقالت له:

_ ولكنني أعددت لك الطعام بيدي فهل سترفض؟

فقال:

_ لا، لـن أرفـض، سـأتناول مـا أعـددت يـا حبيبتـي، فـلا تعرفـين كيـف وقعـت في حبـك منـذ اللحظـة الأولى التـي وجدتـك فيهـا في البحـر تنظريـن لـه ولم تهمـك مراكـب الصياديـن القادمـة ولم تتحـركي حتـى مـن مكانـك، كنتـي صامـدة وثابتـه كالهـرم يـا إنصـاف، لم يهـزك شيء، ولقـد عجبنـي ذلـك.

لم تـرد، بـل قدمـت لـه الطعـام وبعـض عصـير الفراولـة وهـي تـردد بجمـود:

_ لقد أعددت لك العصير بيدي.

تناولـه مـن بـين يديهـا وتجرعـه كلـه مـرة واحـدة، وبعدهـا أكل

الطعـام وهـو ينظـر لهـا بهيـام وهـي لا تتكلـم، فقالـت:

_ سأذهب وأبدل ثيابي.

لم تنتظر لتسمع ما يقول، بل دخلت غرفتها لتبدل ثيابها.

***

١٦ من سبتمبر ١٩٩٢
الأنفوشي الأسكندرية

الساعة العاشرة مساء، قالت الأم بقلق:

ـ إن حمـدي لم يـرد أيضـا يـا حـاج عبـد الواحـد ولا أدري، فقلبـي غـير مسـتريح، وأشـعر بـأن هنـاك شيء خطـأ، فقـال الأب:

ـ اتركيه وشأنه، فهو عريس وفرح بعروسته. قاطعته الأم بقلق:

ـ وهـل هـو عريـس يـا حـاج عبـد الواحـد لأول مـرة؟ فهـي ثـاني مـرة، وحتـى إنصاف فهـي عزبـاء وليسـت بكـر وليسـت عـروس لم تتـزوج مـن قبـل، أنـا قلقـة عـلى ولـدي يـا عبـد الواحـد لا أدري، فقلبـي غـير مسـتريح منـذ أمـس أقسـم لـك.

وبعدها أخذت تبكي بطريقة هيستيرية وغير مبررة.

نظـر لهـا الـزوج وهـو لا يـدري مـاذا يقـول، فهـو نفـس شـعوره الـسيء، فهـو غـير مسـتريح لزوجـة إبنـه بالمـرة، ولم يكـن يريدهـا، ولكـن أمـام إصرار الإبـن إضطـر للموافقـة، وكان ابنـه معجـب بهـا حـد الجنـون، وكانـت هـي محترمـة ومحتشـمة لـن ينكـر، ولكنهـا غـير مريحـة أبـدا، فيهـا شيء خاطـىء وغريـب يجعـل المـرء ينفـر منهـا بـلا سـبب.

فـلا يعلـم مـا الـذي أعجـب حمـدي بهـا مـن الأسـاس، فقـال الأب بقلـق:

ـ غـدا يـا زينـب إن لم يفتـح البـاب سـوف أكـسره عليـه، ولكـن لا يصـح اليـوم في الصباحيـة.

فقالت له بإصرار:

ـ لا الآن، أريـد حتـى سـماع صـوت إبنـي الآن، فلـيرد مـن خلـف

البـاب ولا يفتـح لنـا، ولكنـه حتـى لا يـرد وكأن المنـزل مقـبرة.

شـعر الريـس عبـد الواحـد بالقلـق أكـثر وأخـذ ذلـك الفـأر يلعـب ويجـري في عقلـه، فقـام ذاهبـا لشـقة إبنـه في الـدور الـذي أسـفل منـه، وأخـذ يـدق البـاب ويـرن الجـرس ولكـن بـلا جـدوى وكأن المنـزل خـالي ولا يسـمع صـوت أحـد، وهـذا مـا زاد قلـق الرجـل أكـثر، أخـذت الأم والطفلتان والجميـع ينـادوا عـلى العريـس ولكـن بـلا فائـدة، وتجمـع أشـقائه وبعـض الجـيران وهـم ينـادون عليـه بـلا جـدوى فقـال أحـد الجـيران:

_ إن كانـوا مـوتى كانـوا سيسـتيقظون، هنـاك شيء غريـب لابـد مـن كـسر البـاب يـا ريـس عبـد الواحـد.

كـسروا البـاب ودخـل الجميـع، ووقتهـا فقـط تمنـوا بأنهـم لم يفعلـوا ولم يدخلـوا تلـك الشـقة الملعونـة، أخـذت الطفلتـان تنظـران لجسـد أبيهما المعلـق مـن قدميـه ومغـروس فيهـما خطـاف سـنارة حديـد ومفصـول الـرأس، ومقطـوع اليديـن، ومحفـور عـلى صدره«سـأفعل مـا تريـدون»، وبطنـه مبقـورة وخـارج كل مـا فيهـا متـدلي منهـا في منظـر دمـوي مقـزز، لم تسـتطع الأم تحمـل منظـر إبنهـا ومـا حـدث لـه فسـقطت ميتـة، وسـقط الريـس عبـد الواحـد فاقـد الوعـي، وقـام الكثـير مـن الحـاضرون بإفـراغ مـا في جوفهـم بهلـع، فمـن فعـل ذلـك بالرجـل، كان الرجـل طيـب القلـب ومحـترم ولم يضايـق أحـد يومـا، فلـماذا يحـدث لـه ذلـك.!

فقال أحدهم:

_ وأين إنصاف؟

بحثـوا عنهـا في الشـقة فلـم يجدوهـا، تبخـرت العـروس فقـال أحدهـم:

_ لقد قتلته الملعونة، لقد قلت له بأنها حلبية ولكنه لم يصدقني.

وصرخ في وجوههـم ليبلغـوا الشرطـة والإسـعاف.وكان الجميـع يفكـرون، أيـن رحلـت ولماذا قتلـت الرجـل وذبحتـه هكـذا؟ فـماذا فعـل

لها، لقد لمها من الشارع ولم يعرف أصلها ونسبها، لقد أحبها وكان هذا كافي لها ولكنه كان غبي، فمنذ متى الحب وحده يكفي؟

وكانت إنصاف قد وصلت لمحافظة أخرى من محافظات مصر لتكمل إنتقامها من الرجال وتقتلهم وتمثل بجثثهم، بعد الإحتفاظ بكفيه وقطعهما لتأخذهما معها في البرطمان الذي تحتفظ فيه بالفورمالين والأيادي المبتورة.

***

ظلت إنصاف تنتقل من محافظة إلى أخرى تقتل بكل مدينة تزورها رجلا لتشعر بالراحة وتشفي غليلها بنحره وفصل رقبته وإخراج ما بداخل بطنه وتناول قلبه، هي تريد أن تشعر هل يشعرون بتلك القلوب في صدورهم ويتأثرون، لذلك هي تتناولها بتلذذ، وتحتفظ بالأيادي حتى لا يعذبون بها أمرآة أخرى في الجحيم ، وتعلمت في مدينة طنطا، عندما عملت كعاملة في مصنع للكمياويات والمنظفات، تعلمت كيف تصنع حمض قوى تحرق به الأعضاء بدون الحاجة لإشعال النيران، فكانت تتلذذ بإحراق نصف أجسادهم السفلية وهم معلقون بخطاف من الحديد من أرجلهم كالذبائح، استمرت عام كامل وهي تلف من مدينة لأخرى، تقتل في الرجل تلو الآخر بكل وحشية، منهم من قتلته يوم زفافه، ومنهم من قتلته لطمعه في جسدها، ومنهم من ساعدها، ومنهم من قدم لها المأوى والأمان ولكنها كانت تقتل بلا رحمة ولا تتذكر لأحد شيء جيد ولا حسنة فعلها معها.

***

فيكفي بأنه رجل وأوقعه الحظ السيء في طريقها، لقد أصبحت اكثر قسوة ووحشية حتى لقبتها الشرطة بالمدرعة، كتيبة الإعدام، لما تفعله بضحاياها عند الموت، لقد تابعتها الشرطة ونصبت لها العديد من الكمائن ولكنها كانت تهرب في كل مرة، لم تكن لها وجهة محددة

ولا مـكان محـدد، هـي تسـافر للمـدن والمحافظـات بعشـوائية، تحمـل ورقتهـا بـين ثيابهـا القليلـة لتحـذف المدينـة التـي نفـذت فيهـا انتقامهـا، لا يهمهـا أيـن سـتأخذها أقدامهـا، فهـي تعمـل أي مهنـة تقابلهـا وتنفـذ مـع أول فريسـة تقـع في شـباكها بـلا ذرة رحمـة وتعاطـف، فمنـذ متـى ترحـم المدرعـات أعدائهـا؟

حتـى نفـذت جرائمهـا في ٢٨ محافظـة مـن محافظـات مـصر، ولم يتبقـى لهـا سـوى محافظـة أسـوان وبعدهـا تعـود لبنـي سـويف لتلتهـم قلـب الصبـي المتبقـى مـن نسـل زوجهـا السـابق صـدام الـذي كان يبلـغ مـن العمـر ثمـاني سـنوات، لا يهـم مـاذا سـيفعلون بهـا، المهـم بأنهـا تشـفي تلـك النـيران المسـتعرة بداخـل صدرهـا.

ولم يطفئهـا قتـل مـن قتلـت ولم تروهـا دمائهـم التـي تذوقتهـا ، كانـت تسـتقل القطـار المتجـه لأسـوان تنظـر للحقـول الخـضراء وهـي تتذكـر مـا فعلتـه عـلى مـدار العـام، تتذكـر نظـرات الذعـر في عيـون مـن ذبحتهـم، أخـذت إحـدى السـيدات في الصـف الآخـر مـن القطـار تنظـر لهـا بذعـر كبـير وخـوف، وتحـاول أن تـداري عيونهـا عنهـا برفـع طرحتهـا السـوداء فـوق وجههـا، وكانـت المـرآة هـي خالـة عثـمان ضحيتهـا الأولى في مدينـة القاهـرة، لقـد حـضرت المـرأة حفـل زفافهـا وأكلـت معهـا يومـا وتحدثـت معهـا قبـل الزفـاف، فلـم تنسـها المـرأة ولم تنـسى مـا فعلـت في إبـن أختهـا عثـمان رحمـه اللـه، وكيـف قتلتـه بوحشـية شـديدة ومثلـت بجثتـه، وعندمـا توقـف القطـار في محطـة أسـوان نزلـت إنصـاف وهـي تحمـل حقيبتهـا السـوداء بـين يديهـا وترتـدي ثـوب أسـود وتـترك شـعرها الأسـود الطويـل بـلا ربـاط خلـف ظهرهـا، لقـد تغـيرت ونزعـت الحجـاب عـن رأسـها ولكنهـا تعرفـت عليهـا، فنظراتهـا البـاردة الخاليـة مـن الحيـاة كـما هـي لم تتغـير حتـى لـو غـيرت مـن شـكلها وثيابهـا وعقلـة إصبعهـا المقطوعـة علامـة مميـزة..

عندما توقف القطار نزلت إنصاف ولم تلاحظ حتى تلك العجوز التي كانت تراقبها باهتمام، طوال الثلاث ساعات الماضية، نزلت السيدة بتوتر ورعب وأسرعت تركض إلى قسم الشرطة لتقوم بالإبلاغ عن إنصاف، فهي تحفظ إسمها عن ظهر قلب، وكانت دوريات الشرطة بكل المحافظات في مصر على علم بما تفعله تلك السفاحة، وينصبون لها الكمائن بلا جدوى، فكان بلاغ المرأة هام جدا لأنها شاهدتها عن قرب يوما، وشاهدت عقلة إصبعها الصغير في يدها اليمين وهي مقطوعة، وكانت تلك العلامة مميزة وكافية لتؤكد لها.

بعد البلاغ في قسم الشرطة وإخبارهم بأن القاتلة موجودة بمدينة أسوان، كانت الشرطة تعرف بأن القاتلة تستخدم نوع من الأقراص المنومة عند تشريح جثث الضحايا، وكانت تضع كمية كبيرة من الأقراص للضحايا بالطعام لتتمكن منهم، كانت نحيفة الجسد، وبعد بلاغ المرأة قامت الشرطة بعمل كمين في جميع الصيدليات بالمدينة، ومنع بيع ذلك الدواء بالذات وتوجيه حامل الروشتة إلى صيدلية واحدة كبيرة وتحتوي على كاميرات مراقبة، وتم عمل الكمين لإنصاف ومنع بيع الأقراص المنومة إلا في الصيدلية التي حددتها الشرطة، وتم نصب الكمين، وكانت الشرطة تبحث عنها والمخبرين في كل مكان بالإتفاق مع مديرية أمن القاهرة، فالقضية كانت قضية رأي عام وبشاعة الجرائم كانت تثير الرأى العام والناس، ولكنها كانت قد تبخرت بأسوان فلا أحد يعرف عنها شيء، كانت رغم عدم تعلمها ذكية جدا وماهرة في اصطياد ضحاياها والإيقاع بهم وتنفيذ مهمتها بقتلهم.

٣٠من أغسطس ١٩٩٣
محافظة أسوان

وبعد ثلاث ليال دخلت إنصاف بثبات ترتدي ثوب أسود وتحمل روشتة قديمة من مدينة بني سويف وفيها إسم الدواء المنوم المذكور والمحظور بيعه بأمر الشرطة، فقال الطبيب لها بأن الدواء لن تجده إلا في إحدى الصيدليات الكبرى وأخبرها إسم الصيدلية ومكانها، وعندما ذهبت لصيدلية أخرى، نفس الكلام يكرره الطبيب، فأضطرت للذهاب للصيدلية التي كانت الشرطة تنصب فيها الكمين، وأخبروها بأن الدواء سيتوفر غدا، وبعدها إتبعوها ليعرفوا مكانها، كانت تسكن في شقة استأجرتها من أحد السماسرة، وطلبت منه إيجاد عمل، وكان الرجل يراقبها ووعدها بأنه سيجد لها عمل مناسب، وكان يعتقد بأن تلك الحقيقبة السوداء التي لا تستطيع حملها إلا بالكاد تمتلىء بالأموال والمصوغات، فطمع الرجل فيها، فقرر اقتحام الشقة عليها وهي نائمة لسرقتها، ولكنها كانت لا تنام وتستيقظ لأقل حركة، شعرت به واستيقظت لتجده يقف أمامها وفي غرفة نومها ويمسك سكين كبير يهددها به، ينظر لها بطريقة غريبة لم تهتز أو تخف، فقال لها:

_ أين أموالك والذهب، أريد كل شيء معك. فقالت له وهي تنظر له بجمود:

_ سأفعل ما تريدون.

لم يتوقع منها ذلك الرد الذي ليس له دلالة، ولكنه صرخ في وجهها:

_ ألم تفهمي، هيا أعطني الذهب والمال وكل ما لديك.

نزلت من الفراش وهي تردد بجمود:

_ سأفعل ما تريدون

وذهبت لتحضر الحقيبة من أسفل الفراش، وفتحتها وأخرجت رزمة من الأموال ألقتها في وجهه وبعض المصوغات، نظر الرجل بلهفة للمال والذهب وأنزل سكينته غير مصدق، وكما توقع، فالفتاة تحمل النقود بتلك الحقيبة السوداء، وهنا استغلت تلك اللحظة وأخرجت تلك الزجاجة التى تحتفظ بها بالحمض القوى وألقته في وجهه مرة واحدة، فصرخ الرجل متألما، أذاب الحمض وجهه وعينيه وأفقده القدرة على الرؤية، و أسقط السكين والمال وكل شيء وهو يصرخ واضعا يديه حول عينه، اقتربت هي بثبات وأمسكت السكين الكبير، وقامت بضربه في قدميه لتثبته بالأرض ويسقط متألما لا يرى ما يفعل به، أحضرت بعدها الحبل وقامت بربط قدميه وربط فمه حتى لا يصرخ، وجرته بهدوء إلى الصالة كالذبيحة، وأحضرت السكين الخاص بها وأدواتها الخاصة فهي لا تحب استخدام أدوات أحد، وقامت بترتيب غرفة النوم، فالنظام شيء هام عندها، وبعدها عادت للرجل المربوط من قدميه، نظرت لسقف الصالة بغيظ وغضب فكانت لا تجد ذلك الخطاف الموجود دوما بالحائط ويسهل عليها الكثير من الأمور في تعليق ضحاياها، لم يكن موجودا تلك المرة، قطعت اليدين بغضب وهنا استيقظ الرجل وحاول الصراخ، ولكن لم يستطع، فيبدوأن الحمض دخل في فمه أيضا وابتلع بعضا منه، فتآكل لسانه وبعض من حلقه، نيران، كان يشعر بنيران ويتمنى الموت، يدعو الله أن يموت، فأحيانا الموت راحة ورحمة من عذاب لا

يحتمـل، كان يشـعر بتلـك الشـيطانة وهـي تشـق ثيابـه، فـماذا سـتفعل بـه، ومـا الـذي جعلـه يفعـل ذلـك، لمـاذا قـرر أن يـسرق تلـك المخبولـة شـعر بنصـل السـكين وهـي تنغـرس في لحـم صـدره، فـصرخ متألمـا ولكـن صوتـه لم يخـرج ليسـمعه أحـد، وهنـا اقتحمـت قـوات الشرطـة المنـزل وكـسرت البـاب مـرة واحـدة، وصدمـوا عندمـا رأوا مـا تفعـل تلـك المجنونـة، فلـم تهتـز ولم تحـاول الهـرب، بـل أخـذت تكمـل مـا تفعـل ومـا تكتبـه عـلى صـدر الرجـل الملقـى عـلى الأرض بالسـكين، دقيقـة مـن الصمـت الثقيـل، لم يسـتطع رجـال الشرطـة السـيطرة عـلى أعصابهـم وتوترهـم، فـصرخ كبيرهـم فيهـا أن تتوقـف عـما تفعـل ولكنهـا لم تتوقـف، وكأنهـا لا تنظـر لهـم، رددت: سـأفعل مـا تريـدون جميعـا.

انتظـروا أن تتوقـف بعـد تركهـا لذلـك السـكين الصغـير مـن يديهـا مـرة واحـدة، ولكنهـا فاجئـت الجميـع بمسـك السـكين الكبـير وارجـاع شـعر الرجـل للخلـف ونحـره مـرة واحـدة في أقـل مـن ثانيـة لتفصـل رأسـه عـن رقبتـه أمـام أعينهـم دون أن تغلـق عينيهـا، في منظـر دمـوي بشـع أشـعرهم بالتقـزز والغيـظ، قتلـت الرجـل أمـام أعينهـم وببجاحـة شـديدة متحديـة الجميـع بـلا ذرة رحمـة أو شـفقة أو حتـى خـوف مـن تلـك الرتـب والنجـوم والأسـلحة الموجهـه إليهـا.

فكانـت كالمدرعـة وكتيبـة المـوت التـي تفعـل مـا تريـد ولا يهمهـا أحـد سـوى القتـل وتنفيـذ هدفهـا، فلـم يتمالـك الرجـال أعصابهـم فقامـوا بإطـلاق الرصـاص عليهـا بغـزارة، الجميـع أطلـق النـيران عـلى إنصـاف في نفـس الوقـت بـلا تفكـير وبـلا أي أمـر مـن قائدهـم، لقـد قتلـت تلـك السـفاحة العديـد منهـم ومزقـت أجسـادهم وتناولـت قلوبهـم بعـد تعذيبهـم، فهـي تسـتحق المـوت ولا تسـتحق الشـفقة ولا الـتردد في اتخـاذ القـرار.

هتفوا بصوت عالي:

_ الموت للساحرة ..

***

(٩)

١٨ من يوليو ٢٠٢٠
قرية أم الصبيان – محافظة بني سويف

كان الأربعة (رأفت - موسى - زينب - الحاجة روحية)، يجوبون شوارع القرية الصغيرة باحثين عن منزل المدرعة، إنصاف السيد عبد السلام، بعد معرفة قصتها كاملة وما أخبرهم به حسنين من ملفات وزارة الداخلية والأرشيف، ورؤية لأبو المكارم وقد رأى الروح متجسدة في صورتها الحقيقية، وذهبت قريتها ومنزل زوجها القديم وكانت ترتدي ثوب أسود وتفرد شعرها الأسود الطويل خلف ظهرها، وكان الصبي الصغير يجلس على الأرض يأكل في صحن من المعدن، وعندما رأته قذفت الصحن بالطعام بأقدامها بعيدا وجذبت الصبي من شعره بقسوة، وهي تردد:

_ سأفعل ما تريدون - ستموت اليوم يا صدام وسأتناول قلبك، ولن يكون لحسان ذرية بعد الآن، وبعدها سأرحل.

وقبل أن تذبحه بشوان ويدها ممسكة برقبته بقسوة واليد الأخرى بالسكين، وكان الصبي مستسلما لها ولا يتكلم وكأنه لا يحدث له شيء، وفي تلك اللحظة دخلت طفلتان تركضان نحوها بسرعة، وهنا استيقظ موسى بفزع، لا يعرف من تلك الطفلتين الصغيرتين، وهل قتلت المدرعة الصبي؟، لقد استيقظ في اللحظة الأخيرة وفاته أهم حدث، وكأن النور قد انفصل في أهم لحظة، وشعر بالغضب، فلم الرؤيا ناقصة تلك المرة ولم تكن مكتملة؟ عندما قص عليهم الرؤيا

وقتها عرفوا بأن الروح رفضت مغادرة الأرض وظلت عالقة، من أجل الصبي صدام إبن زوجها، فلم تقتله، فهو الوحيد الناجي من المجزرة يوم موت أبيه وأخوته وعمه، ويبدوأنها ظلت عالقة، فلم تكمل ما كانت تريد ولم تنهي عملها في الأرض، قالت الحاجة روحية -وهي تحكم ربط الشال الأسود فوق رأسها لتداري جرح جمجمتها:

_ هل وصلنا إلى دارها يا رأفت؟

رد عليها قائلا:

_ كما تسمعين، فلا أحد يود دلنا على الدار يا حاجة روحية، فكلما سمع أحدهم اسمها ابتعد برعب، ردت عليه قائلة بصوت غريب:

_ عندما يقترب أحد أخبرني يا بني، وابتعدوا من جواري واختفوا بمكان قريب.

وفي تلك اللحظة اقتربت إحدي السيدات المسنات من بعيد، فقالت زينب:

_ هناك إمرأة آتية يا خالة.

فقالت لهم بحزم:

_ ابتعدوا عني، واتبعوني مع السيدة، سأجعلها ترشدني.

ابتعدوا عنها كما تريد حتى إقتربت، ولا يعرفون ماذا ستفعل، ولكنها أخذت تتحدث مع السيدة لدقائق، وبعدها سحبتها السيدة من يديها، أمام دهشتهم جميعا، ولكنهم اتبعوهما، فيبدو أن الحاجة روحية أقنعت المرأة لتدلها على منزل السفاحة، وبعد السير لمدة ربع الساعة خلف الحاجة روحية والمرأة التي تمسك ذراعها، توقفت المرأة أمام منزل من الطوب الأحمر من طابقين، وكان هناك بعض

الأولاد الصغار يلعبون أمام المنزل، فقالت الحاجة روحية بصوت عالي ليسمعه من يتبعوها:

_ أشكر لك ما قدمت يا بنيتي.

تركت المرأة روحية وهي تنادى على أحد الصغار قائلة:

_ نادي على جدتك يا بني، فهناك من يريد رؤيتها. نظر الصبي بتعجب لروحية التي ترتدي نظارة شمس سوداء اللون، وتمسك عصا خشبية أمامها، وقال:

_ ماذا ستعطيني؟

أخرجت روحية قطعة من الحلوى من حقيبة يديها قائلة:

_ أخبر جدتك ولك هذه.

وأشارت بيديها تجاه صوت الصبي، وهنا نظر بلهفة لقطعة الحلوى وجذبها بشدة من يد روحية وأمام غيظ باقي الصغار، وأسرع إلى داخل المنزل حتى لا ترجع في كلامها.

وهنا إبتعدت المرأة المسنة ووقفت روحية وأقترب منها الثلاثة، ووقفوا متعجبين، وهنا قال موسى بعصبية:

_ كيف أقنعت المرأة بدلك على المنزل؟

لم ترد روحية، بل إبتسمت بحزن، فهو لا يعرف كيف يتعاطف الناس مع امرأة عجوز كفيفة مشوهة الوجه، إقتربت فتاة صغيرة جميلة الوجه وقالت بفضول:

_ هل معك حلوى أخرى يا جدتي؟

إبتسمت روحية لصوت الطفلة، وأخرجت من حقيبتها بعض الحلوى وقالت للفتاة وهي تمد يدها:

_ خـذي يـا صغـيرة ووزعـي عـلى كل إخواتـك وكل الأطفـال مـن حولـك.

ابتسمت الفتاة بفرح وقالت:

_ شـكرا لـك يـا خالـة، ولكـن مـن أنتـم؟ هـل تعرفـون الرجـلان الآخـران، لقـد أحـضروا لنـا الحلـوى أيضـا وجلـس..

لم تكمـل الفتـاة الصغـيرة جملتهـا، خـرج لهـم رجـل يبـدوفي أواخـر الخمسـينات من عمـره بجلبـاب ونظراتـه حـادة، ويبـدو عليـه العصبيـة وهناابتعدالصغاريركضونبعيدا،واقتربالرجلمنهمبحذروقـال بصـوت عـالي:

_ من أنتم ولماذا تريدون أمي؟

وقالت الحاجة روحية بصوت هادىء:

_ مرحبـا بـك يـا ولـدي، نريـد رؤيـة أمـك والتحـدث معهـا قليـلا هـل تمانـع؟، فنحـن قادمـون مـن القاهـرة ومـن سـفر طويـل ومرهقـون ولا نريـد شيء سـوى الحديـث معهـا، فهـل تدخلنـا إلهـا؟

فقـال هـو بتوتـر وهـو ينظـر للخلـف وكأن هنـاك مـن يشـاهد مـا يحـدث، فقـال رأفـت:

_ لا تقلـق، نحـن نريـد سـؤالها فقـط عـن إبنتهـا إنصـاف السـيد عبـد السـلام وعـن قصـة حياتها.

وهنـا شـهق الرجـل ولم يـرد، بـل خـرج مـن خلفـه شـابان وسـيمان، يرفـع أحدهـما سـلاحه الميري في وجههـم قائـلا:

_ كما توقعت تماما، فأنتم تعرفون شيئا.

وهنـا انفعـل مـوسى وكاد يلكـم أقـرب الرجـال لـه، لـولا أن قـال الرجـل بقسـوة مكمـلا:

_ نحـن محققـان مـن الشرطـة ونحقـق في عـدة جرائـم قتـل، والسـفاح يسـتخدم نفـس طريقـة القتـل القديمـة والمـادة التـي كانـت تسـتخدمها إنصـاف ولم تعـد موجـودة في مـصر، منـع اسـتخدامها، ولكنـه

يستخدمها، وأنتم في نفس الوقت تأتون لمنزلها للسؤال عن أمها وعن قصتها، فيا لها من صدفة عجيبة لا تحدث إلا في الأفلام الهندية الرديئة، فأخبروني ما هي قصتكم بالضبط.

فقال أبو المكارم بعصبية:

_ نحن مجموعة من الهواة، نسجل فيلم تسجيلي عن حياة السفاحة وقصة قتلها وكرهها للرجال. وبعدها زفر بغضب، نظر له أدهم بشك طويلا:

_ صدفة غريبة جدا في الحقيقة.

في تلك اللحظة كان سليم مساعده ينظر بتوتر للحاجة روحية ولذلك الجرح الواضح جزء منه في رأسها، انزلق الشال قليلا، وشعر بأن الأمر أكبر من مجموعة هواة يسجلون فيلم تسجيلي، نظر إلى أدهم إشارة فهمها الآخر جيدا، وعرف ما يريد قوله، فقال أدهم شاهرا مسدسه من جديد في وجوههم:
_ ولكنني لا أصدق ما تقولون، وبقانون الطوارىء سألقى القبض عليكم جميعا لنستكمل التحقيق في مديرية أمن القاهرة، حتى نتأكد من قصتكم، فهناك أكثر من سبع رجال تم ذبحهم وفصل رقابهم عن أجسادهم بلا رحمة في يوم زفافهم وتشويه جثثهم بنفس الطريقة التي كانت تقتل بها المدرعة الرجال في التسعينات، وأنتم تقولون لي فيلم تسجيلي عن حياة السفاحة!

قالت روحية بحكمة:

_ انتظر يا ولدي، فلن يفيدك حبسنا، وستظل الروح طليقة تقتل في الأبرياء.

نظروا جميعا لروحية، فلماذا أخبرت الشرطي بأمرهم، نظر سليم لأدهم بحيرة، فهو يشعر بأن الأمر فيه شيء غير طبيعي من القوة التي رآها عند فحص الأماكن التي تمت فيها الجرائم، فلا يستطيع إنسان حتى لو كان قويا فعل تلك الشناعة وتدمير المكان كالإعصار، إلا لو لم يكن شيئا بشريا من الأساس.

لقد عرف أدهم بأمر تلك المادة وهو في طنطا من معمل البحث الجنائي، وعند البحث في سجلات الشرطة، عرف عن القاتلة التي أخفت الشرطة قصتها عن الإعلام والناس لبشاعة ما كانت تفعله، وكان يشعر بأن هناك رابط بين تلك السفاحة وبين ما يحدث للضحايا، فهي نفس طريقة القتل والتدرج في العذاب، وكأن السفاح الجديد يريد إيصال رسالة ولكنه كان عاجز عن فهم شيء، فقرر أدهم السفر لبني سويف مع مساعده للبحث في حياة السفاحة القديمة، فربما كان أحد أقاربها ويريد الانتقام أو ابنا لها، هذا ما جال في خاطره،وكان يجلس مع أم القاتلة ومع أخوتها عندما حضروا هم، ليحفز عقله ويربط بينهم وبين ما يحدث من جرائم قتل في أكثر من مدينة في مصر، لقد قتلت السفاحة في كل محافظة ضحية في الماضي، وكان يريد معرفة هوية القاتل الجديد ليمنعه من إكمال الأمر.

جلسوا جميعا على مصاطب عربية في بهو المنزل يحتسون الشاي الثقيل، وكانت أم إنصاف تجلس بينهم وثلاثة من إخوتها الذكور، فقالت روحية بهدوء وحكمة:

_ إن ما يحدث من جرائم قتل نحن السبب فيه، كنا نقوم بجلسة تحضير أرواح وحضرت روح إنصاف بالخطأ إلى الأرض وكانت عالقة لا تريد الرحيل قبل إنهاء مهمتها.

قالت الأم بحسرة وحزن:

_ لقد قتلت زوجها وأطفاله، وقتلت عمها وأخو عمها، وقتلت الكثير من الرجال، ألم تنه مهمتها! لقد انتقمت من جميع الرجال حتى قتلتها الشرطة فماذا تريد؟

لم ترد روحية، بل كانت تشعر بمدى ألم المرأة وحزنها على ما حدث رغم مرور السنوات الطويلة، ولكن هناك نوع من الحزن والألم لا ينسى مهما مر عليه الزمن، لأنه ألم بالروح وليس الجسد، فالجسد سيشفى بالعلاج ولكن الروح سقمها جلل، فليس للروح علاج ولا ضمادات بالزمن.

قال أدهم بحدة:

_ هل تقولون بأن كل جرائم القتل التي حدثت روح القاتلة الميتة منذ سنوات هي من قتلتهم؟

ردت زينب وهي تهز رأسها:

_ ولن تتوقف حتى تعيد ما فعلت بالماضي وتقتل بكل محافظة رجل.

قاطعها سليم:

_ ولكن لم روحها عالقة؟ لقد قتلت أكثر من ٣٥ رجل وطفل، وأكلت قلوبهم بوحشية ألم يكف هذا!

زفر موسى بضيق وعصبية:

_ بينما نحن نتحدث هنا عن القاتلة ونحتسي الشاي وهي طليقة حرة تذبح وتقطع رقاب الرجال حتى ينقرضوا، هي تريد قتل إبن زوجها صدام، قتلت الجميع ولكنها لم تقتله بعد ولم تأكل قلبه

كـما كانـت تريـد، ولذلـك عـادت هـل فهمتـم جميعـا؟

كان يريـد أن يقـوم ويلكـم الجميـع في وجوههـم بغيـظ، فـلا فائـدة مـن الـكلام، يريـد حـلا لرحيـل تلـك السـفاحة، ولكـن لا يعـرف كيـف، فتلـك المـرة فاقـت الـروح في السـادية أعتـى الرجـال؟

وهنا رد عليه أدهم بعصبيه قائلا:

_ ومـن الـذي تسـبب في تحريـر الـروح غيركـم، أخـبرني، فـلا أدري مـا الاسـتفادة مـن فعـل تلـك الحماقـات والتدخـل في تلـك الإمـور التـي لـن تفيدكـم في شيء بـل تخـل بالطبيعـة وتجلـب الـشر.

فرد موسى بعصبية أكبر:

_ لقـد أخطأنـا ونحـاول تصليـح الخطـأ أيهـا الشرطـي، لم نكـن نقصـد فعـل هـذا.

وهنا قالت روحية بصوت عال:

_ اهـدأ يـا أبـو المـكارم، اهـدأ يـا بنـي فكلانـا يريـد نفـس الغايـة، فلنمسـك أعصابنـا ولا نضيـع الوقـت في تلـك التفاهـات التـي لـن تفيـد أحـد غـير الـروح وجعلهـا تقتـل ضحيـة جديـدة وذنبهـا سـيكون في رقابنـا جميعـا.

صمتوا جميعا ولم يتكلم أحد، قالت أم القاتلة:

_ لم يكفهـا مـا فعلـت وتريـد صـدام أيضـا، لا أدري كيـف كانـت تملـك كل تلـك القسـوة في قلبهـا.

وهنا قالت زينب:

مـن ذاق القسـوة قـسى قلبـه يـا خالـة ومـات، ولقـد عرفـت مـن

قصة ابنتك بأنها تعذبت كثيرا في حياتها، فقدت رحمها وقتلوا ابنتيها بلا رحمة، فلم قتل زوجها الصغيرتين وما ذنبهما!، لا أفهم كيف كانوا يفكرون.

نزلت دمعة من عين العجوز وهي ترد:

_ إنها عادات يا ابنتي، كانت عادات عقيمة وقتها وقلة إيمان بالله، لم يكن معظم رجال القرية يقتلون بناتهم ولكن القليل منهم، فوالدها رحمه الله كان يحبها، وكان يريدها أن تكمل تعليمها، ولكن عمها رحمه الله رفض وأخرجها من المدرسة وزوجها من حسان صديقه الذي يكبرها بأكثر من عشرين سنة، ولم يكن رحيما معها هو وأمه رحمها الله ورحم جميع موتانا، ولكن بعد قصة إنصاف وما فعلته من قتل خاف رجال القرية من خنق الفتيات عند الولادة وكتم أنفاسهن من ردة فعل زوجاتهن بعد ذلك، فأخذوا يتركن الصغيرات.

وضحكت العجوز التي تجاوزت الثمانين عاما وهي تكمل:

_ لقد أنقذت إنصاف الكثير من الفتيات الصغيرات، ولكنها لم تنقذ نفسها ولم تعش في راحة يوما رحمها الله وغفر لها، ولكن فات الميعاد على رأي أم كلثوم.

ردت روحية قائلة:

_ وأين الصبي؟ وماذا حدث له؟

نظرت العجوز إلى روحية وإلى أولادها وقالت:

_ لقد أخذه عمه الذي يعيش في مصر بعد موت أبيه وإخوته وماتت جدته حسرة عندما شاهدت أولادها وأحفادها كلهم ميتين

بتلـك الطريقـة بعـد إصابتهـا بجلطـة دماغيـة، لقـد كان وقتهـا صـدام عنـده ثمـاني سـنوات، لقـد مـر زمـن ولم أرى الفتـى ولا أعـرف عنـه شيء.

فقال رأفت:

_ لابـد مـن معرفـة أيـن الصبـي الآن، فهـو مـن يسـتطيع إيقافهـا، ولكـن كيـف؟

ونظرت جميع العيون لبعضها البعض وهنا قال أخو إنصاف:

_ أنا أعرف طريقه في مصر وأعرف أين يسكن.

التفتت له كل العيون باهتمام وهو يقول مكملا:

_ لقـد أخـبرني صديـق لي في قريـة أم الرجـال عـن مـكان صـدام إبـن حسـان الأسـبوع المـاضي، أصبـح طبيبـا ويعمـل في الجامعـة وفي مستشـفى جامعـي كبـير في مـصر، لقـد عالـج إبنـه الوحيـد مـن مـرض نـادر وكاد يمـوت، لـولا الطبيـب الـذي أنقـذ حيـاة الصبـي، وعندمـا عـرف بأنـه مـن بنـي سـويف لم يأخـذ منـه ثمـن الكشـف والعـلاج وقـدم لـه الكثـير مـن المسـاعدات.

نظـروا لـه جميعـا باهتـمام، وكان الجميـع يفكـر في نفـس اللحظـة في نفـس الموضـوع، كيـف سـيقنعون الـروح بـترك صـدام وعـدم ذبحـه وأكل قلبـه؟ أم هـل سـيوافق صـدام بالتضحيـة مـن أجـل إنقـاذ تلـك الأرواح البريئـة التـي تقـوم الـروح بقتلهـا بـلا رحمـة ولا أي ذنـب سـوى أنهـا تريـد قتلـه هـو؟

***

(النهاية)

استقل الجميع القطار عائدين للقاهرة، وكل منهم عقله مشغول، كيف سيقنعون الروح بترك الطبيب، وهل سوف يستطيعون إنقاذه من بين يديها وغضبها؟

أغمضوا عيونهم لعلهم يركزون في تلك الساعات القليلة القادمة، فعليهم إقناع صدام بمواجهة الروح وربما قتلته، ولكن في المقابل سينقذون باقي الرجال من الموت، سينقذون أرواح العديدين، فلن تتوقف روح السفاحة عن سفك الدماء وقطع الأعناق بسهولة متخلية عن قلب الرجل والتهامه، وكان موسى متأكدا بأن الروح التي قتلت كل هؤلاء الأبرياء بلا ذرة من الرحمة، ليس لديها قلب لتسامح وتغفر، ولن تتوقف عما تنتوي فعله، ولقد أخذوا معهم أم إنصاف العجوز ربما حاولت التحدث معها وإقناعها لجعلها تتوقف عما تفعل والرحيل، كانت الأم تجلس مكانها تتساقط دموعها حسرة، وتمسك بين يديها لفة من القماش الأسود تحتضنها، تتذكر إبنتها عندما كانت صغيرة، هي لم تنجب بنات غير إنصاف، نعم، كانت تفرق في المعاملة بينها وبين إخوتها الذكور، ولكن ما ذنبها، فهذا ما تربت عليه وما تعلمته منذ نعومة أظافرها، لم تكن تستطيع منع عمها من ضربها وإهانتها دوما وإخراجها من المدرسة وتزويجها من صديقه حسان، ولا الوقوف لزوجها عندما قطع إصبعها، عندما أخبرت زوجها أن يكلمه، قام بالصياح في وجهها قائلا بأنها زوجته وليربها كما شاء لا دخل لنا في الأمر، فابتلعت لسانها وصمتت، فماذا ستفعل غير

السكوت والصمت، فهذا قدر الله وإرادته.

كان الشرطيان أدهم وسليم يفكران، هل كل ما يحدث الآن حقيقي، هل ممكن لروح أن تقتل حقا أم أن هؤلاء الشباب وتلك العجوز يخدعونهما، هما لا يؤمنان بتلك الخرافات والأرواح والأشباح، ولكنهما يؤمنان بالأدلة والبراهين فقط، يشكون في كل شيء، حتى يثبت لهم العكس، كانوا مضطرين لمجاراتهم لمعرفة نهاية تلك النكتة، واكتشاف هوية ذلك الوحش الذي يقتل بلا ذرة رحمة أو ضمير، وليس أمامهما شيء آخر لفعله سوى إتباعهم.

وكان موسى غاضبا، فمنذ سماع قصة المدرعة ووحشيتها في التعامل مع الرجال، كان يرى بأنها لم تمت الموتة التي تشفي غليل الرجال، فلم لم يمثلوا بجثتها ويقطعونها قطعا ويلقون بها للكلاب الجائعة كما كانت تفعل بأيدى من قتلتلهم، ولكن تقتل بالرصاص بكل بساطة وسهولة، لم يرى عدلا في موتها بتلك السهولة، كان يتمنى لها موتة أكثر بشاعة، وتمنى لو كان موجودا يومها، فتلك المرة هو يريد إيذاء تلك الروح وتعذيبها بشدة، زفر بغيظ دخان سيجارته، وتناول كوب القهوة أمامه مرة واحدة وهو يضرب بقبضته مسند المقعد، فضرب رأفت الجالس بجواره في بطنه بعنف ودون قصد، وكان نائما، ففتح عينيه بفزع متألما، فقال له موسى:

_ أكمل نومك لم أقصد.

رأى رأفت الغيظ والغضب في عيون صديقه، فلم ينطق، وأغمض عينيه مرة أخرى، بعد أن ألقى نظرة سريعة على زينب الجالسةعلى المقعد المجاور لهما بالصف الآخر من القطار، وكانت تبدو في عالم آخر وهي تضع السماعات في أذنيها وتستمع لأغنية ما، وبجوارها

كانت الحاجة روحية تجلس لا يعرف هل هي نائمة أم مستيقظة، فلا يعرفون عنها شيء إلا عندما تتحدث فقط أو تتحرك بسبب تلك النظارة السوداء التي ترتديها دوما.

وكانت زينب تستمع لأغنية لأم كلثوم وتفكر في كل ما يحدث، لقد عرفت بأن القاتلة كانت تحب كوكب الشرق أم كلثوم وتحب الاستماع لها في الليل، ولكن كان عمها يمنعها عندما يراها ويوبخها كثيرا، فكانت تصعد إلى فوق السطوح وتجلس ومعها مذياع صغير وتستمع بعيدا عن الجميع وهي تنظر للنجوم والليل بعد إنهاء كل أعمال المنزل، وحتى عندما تزوجت كانت تحب الإستماع للست، وحدثت خلافات كثيرة، فعائلة حسان كانوا ملتزمين لا يستمعون للأغاني، ابتسمت زينب بمرارة وهي تتنهد ملتزمون لا يستمعون للأغاني ولكنهم يقتلون الإناث بلا أي رحمة، مبدأ غريب، فلم البشر يفعل ويحلل ما يريد فعله فقط ويحرم ما ليس على هواه ولا يريده، كانت تتذكر حياة السفاحة كما أخبرها حسنين وبعض المعلومات عنها من الأم لعلها تجد نقطة ضعف يستطيعون السيطرة عليها من خلالها، ولكنها للأسف لم تجد، ربما لو كانوا تركوا لها بناتها ما فعلت كل هذا، هى لم يعجبها ما صنعته وما قامت به من تعذيب وسادية وتقتيل وذبح للرجال على شيء لم يقترفوه سوى أنهم رجال، فليس جميعهم سيئون، كما أن الإناث ليسوا جميعا ملائكة أيضا، فلكل نوع هناك السيء وهناك الجيد، خلق الله الصالح والطالح، أوجد الملائكة والشياطين خلق الشر والخير، وكل نوع في الجنس البشري فيه جانب مظلم من عقله مخفي عن الجميع إن ظهر ذلك الجانب دمر العالم، لأنه يكون أشد فتكا وأشرس عنفا من القنابل النووية في التدمير، وهذا ما حدث في قصة المدرعة كيف كانت تقتل وتأكل قلوب ضحاياها بوحشية شديدة وبلا أي إنسانية وكأن ما بداخلها من

إنسان قد مات ولم يبقى سوى ذلك الوحش المظلم الذي خرج من شرنقته ليخبر الجميع بأنه موجود بداخل عقولهم المظلمة.

الكثير من الشواهد المفتوحة للقبور، ليظهر كل شاهد ما بداخله، فكل قبر بداخله جثة لرجل نائم، بلا رأس فرأسه بجواره وعيونه مذعورة، وتخرج أحشائه الداخلية وأمعائه لتملأ المقبرة، وتلك الحفرة الضيقة، وكان الصدر مشقوق طوليا والبطن مبقورة، والقلب سليم ينبض بجوار الرأس، كانت هناك عشر جثث وكل جثة بنفس الحالة من البشاعة والتمثيل وباقي القبور مفتوحة وليس فيها أحد، كانت فارغة تماما، وهناك ظهرت هي، كانت قطعة من الليل، تسير بإنسيابية وكأنها طائرة، ولكنها كانت ساخنة جدا، صهد وحرارة عالية كانت تخرج منها، لا تعرف كيف، ولكن روحية التي كانت تقف بعيدا رأتها وشعرت بمدى حرارة جسدها، قالت روحية:

_ توقفي يا ابنتي عما تفعلين.

لم يهتم الشيء بكلمات روحية، وظل يسير فوق شواهد القبور، ومستمرة فيما تفعل ولم تتوقف، قالت روحيه بصوت عالي وهي تشعر بالصهد يحرق وجهها:

_ توقفي يا إنصاف، قتلت الكثير من الرجال وانتقمت لموت بناتك يا ابنتي فيكفي ما فعلت.

نظر الشيء إليها قائلا:

_ لازال لحسان ذرية في الأرض لم أتناول قلب الصبي، سأقتل كل الرجل حتى أتناول قلب الصبي.

قالت روحية بتوتر:

_ ومـاذا إن عرفـت بـأن الصبـي قـد مـات ورحـل مـن زمـن يـا إنصـاف؟!

وهنـا صرخـت الـروح بغضـب شـديد، فأخـذت رمـال صفـراء ترتفـع عاليـا، والكثـير مـن الغربـان السـوداء تنعـق بصـوت عـالي في السـماء، وحتـى القبـور قـد اهتـزت مـن شـدة الصرخـة، والـروح تصيـح بغضـب وبصـوت خشـن مرعـب:

_ لـن يمـوت قبـل أن أتنـاول قلبـه هـل تفهمـون؟ لـن يمـوت قبـل أن أفصـل رقبتـه وأسـتمتع بقـلي قلبـه الصغـير في الزيـت، سـوف أقتـل كل طفـل ذكـر صغـير وكل رجـل، لـن أتـرك رجـل بـالأرض يحيـا وبعدهـا سـأقتل كل مـا هـو مذكـر.

وبعدهــا أخــذت تــصرخ بصــوت عــال حتــى شــعرت روحيــة بالصـداع الشـديد والدمـاء الدافئـة تخـرج مـن فتحتـي الأذن بغـزارة، فصرخـت بـألم، وبعدهـا سـقطت فاقـدة الوعـي عـلى الأرض والـروح تركـض تجاهها بسرعـة وغضـب كبـير وخلفهـا إعصـار أسـود مـن الأشـياء السـوداء ترتفـع عاليـا لعنـان السـماء وكأنهـا جيشـا مـن الأشـباح الغاضبـة، وهنـا شـعرت روحيـة بزينـب تهزهـا بقـوة وصوتهـا المرعـوب يقـول:

_ هل انت بخير

شـهقت روحيـة بعنـف وكأنهـا سـتموت، وطلبـت كـوب مـن المـاء، أحـضروا لهـا زجاجـة مـاء بسرعـة، تجرعتهـا بسرعـة مـرة واحـدة وكأنهـا كانـت تركـض في صحـراء، وبعدهــا شــهقت ولم تتكلـم، التفـوا جميعـا حولهـا وشـعروا بـأن شـيئا سـيئا قـد حـدث لهـا، كان أعضـاء الفريـق يعرفـون بأنهـا رأت شيء سيء يخـص الـروح، فقـال رأفـت:

_ هل كل شيء بخير يا حاجة روحية؟

ردت روحية بصوت غريب يملأه القلق والذعر:

_ لا يا ولدي .. فلن تنفع خطتنا وما اتفقنا عليه، فلن توافق الروح إلا بموت الرجل بيديها وتناول قلبه، وإلا ستظل تقتل كل الرجال، لقد ارتكبت جرائم أخرى، وهنا وفي تلك اللحظة رن هاتف أدهم وكان يتابع ما يحدث للعجوز وما تقوله بتوتر، فيبدو أن هناك شيء طارئ:

فعرف بأن ثلاث جرائم في ثلاث محافظات أخرى قد حدثت وكانت نفس طريقة القاتل ولكنها كانت أكثر وحشية ودموية من الجرائم السابقة، وكانت الجرائم في محافظات ومدن بعيدة عن بعضها البعض، ولا يمكن لإنسان أن يفعل ذلك أبدا إلا لو لم يكن من البشر، فالفرق بين كل جريمة والأخرى ساعات قليلة، لقد أصبحت الروح سريعة، وتريد تنفيذ ما أتت من أجله بسرعة وكأن هناك سباق مع الزمن وتريد الفوز فيه والربح.

أغلق الهاتف بغضب وهو يزفر ونظر لمساعده سليم الذي فهم بأن جرائم أخرى قد حدثت والمزيد من الرجال مفصولي الرؤوس، نظر للعجوز التي يبدو عليها التوتر ، وجلس على مقعده بعنف لا يعرف كيف سيخرجون من تلك الورطة، إن الموضوع يبدو كبيرا، فهل يبلغ قادته بكل ما توصل له؟، ولكن ماذا سيقول، بأن هناك روح طليقة هي من تقتل؟

***

وصلوا لمنزل الطبيب صدام وكان يسكن في حى راقي بمدينة القاهرة، لقد أحضر أدهم عنوان الرجل بطرقه الخاصة، كان الوقت متأخر من الليل، كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، أغلق الرجل عيادته في تمام العاشرة وعاد للمنزل، كما عرف من بواب

العمارة التي فيها عيادة الطبيب، وذهبوا إلى منزل الرجل، كانت جميع هواتفه مغلقة، فهو لا يرد على أحد بعد الساعة العاشرة وحتى الساعة السادسة صباحا، ولكن يرد مساعده، وكان تصرف غريب من طبيب المفروض أن يجعل تليفوناته متاحة ٢٤ ساعة لمن يحتاجه، صعدوا في الأسانسير إلى شقة الرجل وكان تحقيق الشخصية لأدهم وسليم كافي لعبورهم إلى الجحيم نفسه بلا أي مشاكل ولا منغصات، لقد وصلوا لشقة الرجل بالدور الثامن ودقوا الجرس كثيرا، حتى سمعوا صوت هادىء يتساءل من خلف الباب.

_ من؟

رد أدهم بصوت قوي وعال:

_ الشرطة من فضلك دكتور صدام، افتح الباب ولا داعي للفضائح وسط الجيران.

فتح الرجل الباب، وكان يرتدي ثياب منزل ونظارة طبية، كان قمحي اللون وعيونه بنية واسعة وله شارب وذقن قصير مهذب، وممتلىء الجسد قليلا وطويل، كان يبدو بأنه طبيب، كان حقا يشبه الأطباء، نظر لهم بدهشة ممتزجة مع التوتر، كانوا كثيرين جدا وكان معهم حارس العمارة يريد معرفة ما يحدث ؟

كان أدهم وسليم ورأفت وموسى وأخو إنصاف الذي حضر مع أمه وكان يرتدي جلباب رصاصي اللون وعمه فوق رأسه، وكان هناك زينب وعجوزتان تمسك كل منهما عصا خشبية تبدو إحداهما

كفيفة بتلك النظارة السوداء التي ترتديها في هذا الليل، نظر لهم الطبيب قائلا بتوتر حقيقي:

_ من أنتم؟

قدم له أدهم بطاقة تحقيق الهوية وهو يقول:

_ نحن من الشرطة ونريد التحدث معك رجاء بصورة ودية لأن حياتك مهددة بالخطر ونحتاج مساعدتك.

نظر لهم طويلا، كان بإمكانه الرفض، فلم يكن معهم إذن نيابة ولا شيء رسمي، هو يعرف ذلك، فلا يحق لهم اقتحام شقته في تلك الساعة المتأخرة من الليل، ولكن هو يتذكر تلك العجوز التي ترتدي الأسود، لقد رآها من قبل عندما كان صغيرا،وجلباب الرجل الصعيدي وطريقة وضع عمامة الرأس يبدو من مدينته ومسقط رأسه، فشعر بأن هناك شيء هام حقا، وهو رجل يعرف في الأصول جيدا فلم تنسه حياة القاهرة أصله الصعيدي وما رباه عليه عمه رحمه الله، لا تغلق بابك في وجه محتاج يطلب مساعدتك، ففتح لهم باب الشقة وقال لهم:

_ تفضلوا بالدخول.

وابتعد ليسمح لهم بدخول الشقة ونظر إلى حارس العمارة قائلا:

_ اذهب للنوم يا عبد الستار، فهم جماعة من أقاربي لا تقلق.

حاول البواب الاعتراض، ولكن صدام لم يسمح له وأغلق الباب وهو يقول:

_ شكرا لك.

ودخل إلى ضيوفه بعد إدخالهم إلى غرفة مكتبه وأغلق بابها خلفه، وقال لهم:

_ تفضلوا.

جلسوا على الصالون الموجود بغرفة المكتب وجلس هو خلف مكتبه قائلا:

_ والآن أخبروني ماذا تريدون سريعا رجاء لأن أطفالي نائمون ولا أود إزعاجهم.

نظر بعضهم لبعض بتوتر كبير، فالرجل لديه أطفال، فماذا ستفعل فيهم روح القاتلة، وصمتوا فقال هو بهدوء:

_ هل تخبروني ما أتيتم من أجله رجاء لأن وقتي لا يسمح بهذا الصمت؟

وهنا قال موسى مندفعا كعادته:

_ هناك روح تريد قتلك.

نظر له الطبيب ولم يرد، أكملت زينب بهدوء وحكمة وقصت على الطبيب قصة روح زوجة أبيه وما تريده منه، وأكدت كلامها الحاجة روحية ورأفت وأخبروه بأنهم حضروا الروح بالخطأ والروح عالقة، وقصوا كل شيء، وهنا صمت الجميع وهم ينظرون إلى ردة فعله، وكان هو ينظر إلى عيونهم بذعر لا يصدق ما يقولون، ولكنه لن ينكر بأنه كان يحلم بزوجة أبيه إنصاف دوما وهي تقتله وتنتزع قلبه، كان دوما يرى ذلك الكابوس عندما كان صغيرا، ولكنه سمع أحاديثهم من خلف الأبواب وكيف مزقتهم جميعا ببشاعة، وكان عقله يصور ويتخيل أشياء أكثر، حتى سافر مع عمه عوض إلى القاهرة

ليعيش معه هناك، وكان عمه تاجر فاكهة كبير، ورباه عمه مع أولاده وعامله أحسن معاملة هو وزوجته رحمهما الله.

ولكنه كان دوما يحلم بزوجة أبيه وهي تلتهم قلبه، وهو ينبض بين يديها، ربما بسبب ذلك الحلم الغريب الذي كان يراوده منذ الصغر قرر أن يكون طبيب قلب، ليعرف كيف يستمر القلب في الدق والنبض بعد إخراجه من الجسد، لقد كان يراها في منامه وهي تستخرج قلبه ومازال ينبض ويتحرك بين يديها وهي تلتهمه، لقد ذهب لطبيب نفسي ليحاول أن يعرف سبب خوفه من ذلك الحلم وذلك المشهد الذي لا يفارق خياله، ولكن الطبيب النفسي الذي يعالجه لسنوات طويلة فشل وأخبره بأن ما يراه بسبب ما فعلته زوجة أبيه في أبيه وأخوته، الشعور بالذنب بأنه مازال حيا وكان المفروض أن يكون معهم، فلو كان معهم يومها ولم يذهب لجدته كان سيكون معهم الآن ولن يعيش هو يستمتع بالحياة ويموت إخوته، كانوا سيموتون كلهم معا، وتكون نهايتهم واحدة ولكنه القدر، لقد اختار له القدر الحياة.

قطع حبل أفكاره رنين هاتف الشرطى أدهم، رفع الشرطى الهاتف ليستمع لرئيسه وقائده، وبعدها احمر وجهه غضبا، واغلق الخط وهو يردد بصوت مبحوح:

_ ضحيتان جديدتان في محافظة قنا ومحافظة الشرقية، تم ذبح عريسان ليلة زفافهما وحرق أعضائهما وقطع الكفين وإخراج قلبيهما واعتصارهما، نفس البشاعة والوحشية في التعامل مع الجثث وفصل الرؤوس وقطع الأيدي وبقر البطون زفر رأفت:

_ إن المسافة بين المحافظتين كبيرة جدا، يبدو أن الروح تريد

الانتهـاء مـن الأمـر سريعـا ولـن يوقفهـا أحـد عـما تفعـل.

قالت روحية بصوت حكيم:

_ أنت أيها الطبيب الوحيد الذي يستطيع أن يجعلها تتوقف.

قاطعها الطبيب قائلا بحسرة:

_ هل تريدين منى أن أقتل نفسي يا أمي لترتاح روح زوجة أبي؟

ردت روحية قائلة:

_ لا يـا ولـدي لم أقـل ذلـك، ولكـن سنسـتدعي الـروح مـن خلالـك أنـت، فهـي تريـدك وعـادت مـن أجلـك وبعدهـا نحبسـها هنـا.

وأخرجت زجاجة سوداء بداخلها بعض الخرز الأزرق.

_ سنحاول إعادتها إلى مكانها.

نظـر مـوسى ورأفـت وزينـب إلى روحيـة بعـدم فهمـوا، فـما تقولـه ليـس صحيـح أبـدا، يبدوأنهـا تخـدع الطبيـب وتخـدع الجميـع، هـي تريـد أن تحـضر روح القاتلـة وهـي تعـرف بأنهـا لـن ترحـل إلا بعـد قتـل الطبيب وتنـاول قلبـه، فقالـت زينـب بغضـب:

_ ماذا تقولين يا..

ولكن موسى قاطعها قائلا:

_ نعـم، ليـس هنـاك حـل آخـر لمنـع الـروح مـن قتـل المزيـد مـن الضحايـا والأبريـاء، فالـروح تقتـل ولـن تتوقـف عـن القتـل إلا عنـد حبسـها يـا زينـب وتحقيـق مـا تريـد.

وضغـط عـلى حـروف كلماتـه كثـيرا، ففهمـت وصمتـت، حتـى سـليم وأدهـم والسـيدة العجـوز وابنهـا فهمـوا الأمر.

جسد واحد يضحون به مقابل انقاذ عشرات وربما مئات الأجساد من الموت والذبح والتعذيب، فأي الكفة سيرجحون، ومن سينقذون، الواحد أم الجماعة؟ كانوا يشعرون بتأنيب الضمير جميعهم ولكنهم سيحاولوا ردع الروح بالحسنى أولا وإن فشلوا فلتفعل ما تريد، وسيتركون لها جسد الطبيب مادام هذا ما سيجعلها ترحل وتترك العالم يعيش بسلام، وليغفر لهم الله ما فعلوه من إثم فهو الغفار الرحيم، ولكنهم مجبرين ومرغمين على فعله لإنقاذ الآخرين، وهم يعرفون بأن الروح لن ترحل بدون قتل الطبيب.

وافق الطبيب على ما يقولون، وقامت روحية بتحضير جلسة تحضير الأرواح وأمرتهم أن يصمتوا ولا يحاولون إغضاب الروح عندما تحضرها، لن يحتاجوا إلى وسيط تلك المرة للتحدث الروح من خلاله، لأنها موجودة بالفضاء وحرة طليقة، هم يريدونها أن تأتي كطاقة، جلسوا جميعا على شكل دائرة وأطفأوا الأنوار وأضاءوا بعض الشموع في المنتصف وجلسوا جميعهم على المقاعد حول منضدة قصيرة تراصت حولها الشموع المشتعلة، وبعض أشياء إنصاف الخاصة، كانت الأم تحتفظ بها منذ سنوات لم تتخلص منها، المذياع الصغير لإبنتها الذي كانت تستمع فيه لأم كلثوم، ومجلة قديمة للموضة كانت تحب تصفح صور لبس الفتيات فيها وثوب وردي اللون بأكمام قصيرة قامت بتفصيله بنفسها وهي تقلد ثوب إحدى الفتيات بالمجلة، كانت تحب ارتدائه بعيدا عن نظرعمها الذي كان يوبخها عند ارتدائه وأحيانا يضربها، ومرة مزقه لها عندما رآها ترتديه، ولكنها قامت بتصليحه من حبها فيه، لقد طلبت الحاجة روحية من الأم أن تحضر شيء كانت تحبه ابنتها، وطلبت الحاجة روحية من زينب إشعال البخور لجذب الروح، وهنا قالت روحية بصوت عميق:

_ لا أريـد أن يتحـدث أحـد منكـم لأي سـبب مـن الأسـباب، في البدايـة دعـوني أتحـدث معهـا وعندمـا أطلـب مـن أحدكـم بإسـمه أن يتحـدث فليتحـدث، ولا أريـد أي خطـأ، فليـس أمامنـا فرصـة أخـرى لإنقـاذ الضحايـا إلا تلـك.

وهنـا إبتلـع الجميـع مـا في حلقهـم بتوتـر وتصاعد الخـوف في الأجواء، وهنـا بـدأت الحاجـة روحيـة بقـول بعـض الكلـمات والتمائـم والأقسـام والعزائـم بصـوت منخفـض ولكنهـم كانـوا يميـزون بعـض الحـروف لإسـم إنصـاف مـن بـين الكلـمات التـي تقولهـا، دقائـق مـن الصمـت مـرت ثقيلـة جـدا، وهنـا هبـت رائحـة كريهـة جـدا وهـواء بـارد ضرب وجوههـم، فقالـت روحيـة:

_ هل حضرت يا إنصاف، لقد استدعيت روحك يا ابنتي؟

ازداد صفـير الريـاح في آذانهـم واشـتدت الـبرودة وزادت رائحـة الـشيء المتعفـن بالمـكان وازدادت ضربـات قلوبهـم في الخفقـان، كانـوا يشـعرون جميعـا بـأن هنـاك شيء غريـب معهـم بالغرفـة، ولكنهـم لم يجـرؤوا عـلى الحديـث، سـمعوا صـوت روحيـة تقـول:

_ إن كانـت هنـا روح إنصـاف السـيد عبـد السـلام فلتعطـي لنـا الإشـارة بالحضـور رجـاء وتفعـل شيء.

وهنـا اشـتغل المذيـاع القديـم التالـف منـذ سـنوات عـلى صـوت أم كلثـوم وهـي تـردد بصـوت عـال قـوي:

أعطني حريتي أطلق يديَّ...

إنني أعطيت ما استبقيت شيَّئا..

آه من قيدك أدمى معصمي...

لم أبقه وما أبق عليَّ...

ما احتفاظي بعهودٍ لم تصنها...

وإلام الأسر والدنيا لديَّ...

أعطني حريتي أطلق يديَّ....

وبعدها أخذت صفحات المجلة تقلب صفحة وراء الأخرى، كان التوتر يسود الأجواء والخوف، لا صوت يعلو فوق صوت قلوبهم المرتجفة الخائفة، حضرت الروح حقا، كانوا يحاولون الثبات، فهم يعرفون بأن القادم سيكون سيء لا محالة، فالروح تخبرهم بأن يعطوها حريتها ويطلقون سراحها من خلال أم كلثوم، لحظات ثقيلة من الصمت قاطعتها روحية قائلة:

_ نحن لم نحبس روحك يا إنصاف، ولكننا نريد منك الرحيل والكف عما تفعلين من الأذية وقتل الأبرياء.

وفي تلك اللحظة حدث شيء غريب جدا، لقد ارتفع الثوب الموضوع على المائدة عاليا وأخذ يتحرك في الفضاء، وكأن هناك من يرتديه، وسمعوا صوت أنثوى قوي لهجته صعيدية ويقول بخشونة:

_ كنت أحب هذا الثوب،صنعته بيدي.

وهنا شهقت الأم عند سماع صوت إبنتها، فهي تعرفه جيدا، وبكت بصوت عال قائلة:

_ لماذا يا ابنتي فعلت ذلك؟ لماذا يا إنصاف تقتلين الأبرياء؟

استدار الثوب مسرعا تجاه الأم ووقف في مواجهتها وصوت قوى غاضب يأتي من الفضاء يقول:

_ لأنهم يستحقون الموت، كل الرجال يستحقون الموت يا أمي،

سأقتل الجميع ولن أرحل إلا بعد قتل كل نسل حسان كما قتل بناتي.
سألتهم قلب إبنه صدام وبعدها سأرحل من عالمكم.

ابتلع الطبيب ما في حلقه الجاف وهو يستمع لها، كان كل ما يحدث الآن، يحلم به تماما وهي تمسك قلبه بين يديها، وبعدها أخذت الروح تلقي كل الكتب على الأرض بغضب وتقلب كل شيء بالغرفة، فقالت روحية:

_ ولم لا ترحلين؟ فيكفي ما قتلت من رجال؟

تحرك الثوب في الفراغ ليحوم حولهم قائلا:

_ لديكم ستة رجال، ولن يخرجوا من تلك الغرفة، سيموتون جميعا، فاختاري يا أمي أي الرجال أبدأ؟

وأخذت تلف حول أخيها وهي تردد، هل أقتل إبنك؟ أتذكره جيدا عندما كسر لي يدي يوما، وبعدها لف الثوب في الهواء وأخذ يقلب الأشياء قائلا بغضب:

_ هل تتذكر؟، لقد عرفتك من جرح يديك يا سالم.

وكان حقا هو، ولديه ندبة كبيرة وجرح في كف يديه إثر حادث تعرض له وانقلابه بالسيارة في الطريق.

صرخت الأم بلوعة:

_ لا يا أنصاف، من أجلي فهو أخيك يا ابنتي.

سمعت الصوت الغاضب وهو يصرخ:

_ ولكنه رجل ولا يستحق سوى الموت والتهام قلبه.

واقترب الثوب طائرا بسرعة تجاه الأخ المذعور الذي لم يكن يعرف كيف يتصرف في تلك المصيبة، ارتفع المقعد لأعلى عاليا أمام

عيونهـم جميعـا وكان هـو يـصرخ بعنـف، وهـو يشـعر بـالالم وصوتهـا عـال يـردد:

_ هل أفصل رقبته الآن أم أذهب لرجل غيره؟

وأسرع الثـوب يطـير بالهـواء وكأن هنـاك مـن يرتديـه تجـاه الشرطـى أدهـم، وفي تلـك اللحظـة سـقط المقعـد مـن الهـواء مـن مكانـه المرتفـع مـرة واحـدة وهـو يحمـل سالم، فتحطمـت أقـدام المقعـد وسـقط الرجـل فاقـد الوعـي وصرخـت الأم الملتاعـة رعبـا، واقـترب الثـوب الطائـر مـن أدهـم، وشـعر أدهـم بنـيران تحـرق وجهـه وكأن هنـاك مـن يتنفـس حقـا بالقـرب منـه، وشـعر بالتوتـر والخـوف ولم يجـد إلا سـلاحه النـاري ليخرجـة مـن جيـب سرواله ويصوبـه تجـاه الثـوب ويطلـق النـار، ثلاثـة طقـات مـن الرصـاص، كان الصـوت مدويـا وعاليـا، وهنـا سـمعوا صـوت الـروح الغاضـب وهـي ترتفـع لأعـلى بالثـوب بعـد أن أخترقتـه الرصاصـات الثلاثـة، لتثقبـه وتخـرج مـن الجهـة الأخـرى، وهنـا ثـارت الـروح وجـن جنونهـا لقـد ثقبـوا ثوبهـا المفضـل فأخـذت تـصرخ غاضبـة وتلقـي كل شيء بالغرفـة بعنـف وهـي تـردد:

_ سافعل ما تريدون جميعا.. سأقتلكم جميعا..

اقتربت الروح من أبو المكارم الذي صرخ منفعلا:

_ لا نريـد منـك سـوى الرحيـل أيتهـا اللعينـة، ارحـلي فقـط وعـودي للجحيـم.

وهنـا قامـت الـروح بقذفـه بأحـد المقاعـد في وجهـه فأصابـت رأسـه بشـدة وأخـذت تنـزف بغـزارة شـديدة وهـو يشـعر بالـدوار والألم.

صرخت روحية بغضب:

_ ماذا فعلتم يا حمقى، لقد أغضبتم الروح، لن تغادر الغرفة إلا بقتلكم جميعا.

حاولت التحدث معها وجعلها تهدأ، ولكنها كانت كبركان ثائر، وهجمت على أخيها الفاقد الوعي وقامت بقطع إحدى يديه،وجرته على الأرض بقسوة وترفعه عاليا من قدميه، وكانت الدماء تتساقط وفتح، هو عينيه بألم فوجد نفسه معلقا من قدميه بالهواء، وحاول الصراخ ولكن كان هناك ما يمنعه، وصرخت أمها برجاء:

_ لا تؤذين أخيك يا إنصاف،إقتليني أنا قبله.

واحتضنت جسد إبنها وحاولت جذبه للارض في محاولة لحمايته، وهنا طار الثوب عاليا وسقط سالم على رأسه فشجت وسال الدم منها، ومازال كل شيء بالحجرة يتساقط بعنف وبصوت عالي أمام صرخاتهم جميعا، وبعدها اقتربت من الشرطى أدهم وجذبته بقوة ورفعته عاليا من قدميه، وقامت بقطع إحدي يديه بقسوة، لا يعرفون كيف، مر كل شيء بسرعة، فصرخ سليم متألما، وأخرج مسدسه بغضب وهو يرى تلك الدماء المتساقطة من كف زميله المقطوع على الأرض وزميله المعلق من قدميه بالهواء فاقد الوعي، وأخذ يضرب الطلقات على الثوب الذي يتحرك طائرا بالفراغ بالغرفة، وترك الجسد يسقط على وجهه بلا رحمة، وهو يردد بقسوة:

_ سافعل ما تريدون جميعا.

كانت زينب ستموت فزعا وهلعا مما يحدث أمامها، وكانت روحية تبكي على ما سيحدث، فستقتل الروح كل من هو مذكر بالغرفة ولن ترحل إلا عند قتل الست رجال، هي تعرف بأنها لن تمس أي فتاة بسوء، فالقاتلة لا تقتل سوى الرجال، ولكنها هي السبب في كل هذا، هي السبب في إحضارها بالغرفة، وهنا وقف

الطبيـب صـدام مـرة واحـدة وهـو يـصرخ بصـوت عـالي وهـو يـرى كل ذلـك الألم المرتسـم عـلى الوجـوه والرعـب ومـا يحـدث مـن غضـب الـروح الهائمـة:

_ انتظـري يـا زوجـة أبي « أنـا صـدام إبـن حسـان « ومـن تريديـن قتلـه ، وتبحثـين عنـه منـذ سـنوات اقتلينـي وارحـلي وكفـي عـن القتـل والتعذيـب للأبريـاء، هيـا، أنـا أمامـك ولـن أقاومـك، ولكننـي لـن أتحمـل رؤيـة أحـد يمـوت بسـببي أنـا وبسـبب غلطـة فعلهـا أبي منـذ زمـن ودفـع ثمنهـا.

وهنا إقترب الثوب مندفعا تجاهه بسرعة ووقف يتفحصه.

وهنـا نـزع الطبيـب ثيابـه العلويـة بسرعـة ولـف ظهـره لهـا، وهـو يكمـل كلامـه قائـلا:

_ لتتأكدي بأنه أنا انظري اعلى ظهري .

وكان وشـم بإسـمه كامـلا محفـور عـلى ظهـره باللـون الأخـضر، كان عـادة مـن عـادات أبيـه أن يحفـر أسـمائهم عـلى ظهورهـم كاملـة مـع صورتـه، صـورة الأب وشـاربه الضخـم، ومـرت دقيقـة مـن الصمـت المطبـق، لم يتكلـم أحـد ولا حتـى الـروح، ولكـن الثـوب ظـل معلقـا وكأن هنـاك مـن ينظـر بغـل لمـن بداخلـه، وبعدهـا سـمعوا صـوت الـروح وهـي تقـول بهـدوء:

_ خرجوا جميعا من الغرفة ودعوني مع من أريد.

وفتـح بـاب الغرفـة مـرة واحـدة مـن تلقـاء نفسـه، وفي تلـك اللحظة إندفعـت طفلتـان صغيرتـان عمرهـما تقريبـا خمـس سـنوات، كانـت تبكيـان بهيسـتريا واندفعـت تجـاه الطبيـب لترتميـان في حضنـه وتبكيـان قائلتـان، مـن بـين دموعهـما:

_ بابـا، هـل أنـت بخـير ؟، مـا تلـك الأصـوات العاليـة والشـجار؟ نحـن

خائفتـان يـا أبي..

فرد الطبيب وهو يحاول التماسك ويحتضنهما بقوة ويقبلهما:

_ أنا بخير يا أميراتي لا تخافا سيكون كل شيء بخير.

ردتا في صوت واحد من بين دموعها الصغيرة:

_ هـل سـترحل يـا أبي وتتركنـا كـما رحلـت أمـي للسـماء وذهبـت إلى اللـه في الجنـة؟

لم يسـتطع الأب الـرد عليهـا، ولكنـه احتضنهـما بقـوة وحـاول أن يمسـكهما أكـثر ويضمهـما إلى صـدره، وتسـاقطت دموعـه بقهـر، هـو لا يريـد أذيـة بناتـه وحرمانهـم منـه، ولكنـه لا يريـد أذيـة أحـد آخـر بسـببه، تسـاقطت دمـوع الواقفـين، فقالـت الطفلتـان بصـوت بـاك:

_ هـل أنـت ذاهـب للجنـة يـا أبي؟، خذنـا معـك إلى اللـه، فليـس لنـا أحـد غـيرك أنـت بعـد رحيـل أمنـا بالدنيـا، نحـن نحبـك.

رد الأب قائلا:

_ وأنـا أعشـق الـتراب الـذي تسـيران عليـه يـا أمـيراتي والهـواء الـذي تتنفسـانه، لا تقلقـا سـيكون كل شيء بخـير، وستعيشـان العمـر كلـه في سـعادة حتـى لـو ابتعـدت عنكـما، لا تقلقـا.

وهنـا أخـذ كل شيء بالغرفـة يتسـاقط بغضـب وثـورة وغيـظ، والثـوب يتحـرك في كل اتجـاه، والمقاعـد ترتفـع ثـم تتسـاقط عـلى الأرض، وصـوت صرخـات وصيـاح عـال يصـم الآذان فقالـت أم إنصـاف بحرقـة:

_ اقتلينـي أنـا يـا إنصـاف، واتركيـه يـربي بناتـه يـا بنيتـي، فليـس لهـم أحـد سـواه بعـد مـوت أمهـم، باللـه عليـك يـا ابنتـي، سـوف يتعذبـون بالدنيـا كـما تعذبـت أنـت وتألمـت.

وهنـا سـمعوا صرخـات عاليـة والثـوب يتحـرك هنـا وهنـاك بغضـب، وذهــب للطفلتــين وأخــذ يقــترب منهــما، والطفلتــان تصرخــان وتخبئــان وجوههـما الصغـيرة في صـدر والدهـما، ويمسـكانه بقـوة، والثـوب يقـترب وكأنــه يتحســس جســديهما ويشــم رأســيهما، وهنــا أخــذت الطفلتــان تبكيـان بحرقـة وتصرخـان، عندمـا شـعرا بمـن يلمـس رأسـيهما وتقـولان:

_ نحـن خائفتـان يـا أبي، لا نريـد أن ترحـل وتمـوت، خذنـا معـك يـا أبي إلى أمـي، لا تتركنـا.

أخذ الأب يحاول تهدئتهما وتقبيل رأسيهما الصغيرتين وهو يردد:

_ لا تخافا يا أميراتي، سنكون معا ولن أتخلى عنكم أبدا.

وهنا سمعوا جميعا الصوت يقول بغضب:

_ سأفعل ما تريدون، لن أرحل بدون إبن حسان.

وأخـذت الصرخـات تتعـالى وتتعـالى، فاضطـروا للخـروج مـن الغرفـة، فالسـفاحة مـصرة عـلى قتـل الطبيـب لترحـل، وهنـا حاولـت زينـب أخـذ الطفلتـين، ولكنهـما رفضتـا الخـروج مـع زينـب، حاولـت جذبهـما بالقـوة بـلا جـدوى، وحـاول سـليم معهـما بـلا جـدوى، كانتـا متشـبثتين بـالأب بقـوة، وكان هـو متمسـك بهـما أيضـا ولا يريـد تركهـما فيموتـوا معـا، فمـن سـيأتمن عليـه بناتـه في الدنيـا وليـس لهـما أحـد غـيره فأمهـما ميتـة، وهنـا قالـت روحيـة بحكمـة:

_ اتركوهما وهيا اخرجوا جميعا، فالأفضل أن يظلوا معا.

فقال رأفت بـتأثر:

_ ولكنهـا سـوف تقتـل أبيهـم وتذبحـه أمـام أعينهـما يـا حاجـة روحيــة.

فردت روحية:

_ يمـوت ثلاثـة يـا ولـدي مـن الأبريـاء وفي المقابـل العـشرات وربمـا

المئـات غيرهـم مـن الأبريـاء سيعيشـون بأمـان وهنـا تذكـر مـوسى شـيئا، وقـال بإنفعـال:

_ إنهـا محقـة، يمـوت ثلاثـة أبريـاء فقـط ، أفضـل مـن أن يمـوت المئـات وربمـا الآلاف مـن الرجـال والضحايـا ، فهـي لـن ترحـل بدونـه.

وهتف بعدها بصوت عالي وإنفعال وهو يدفعهم خارج الغرفة:

_ اخرجـوا جميعـا، فالأفضـل أن يظلـوا معا،إمـا أن يموتـوا معـا أو يعيشـوا معـا.

وأخرجهـم بالقـوة أمـام دمـوع زينـب وحسرتهـا عـلى الفتاتـين الصغيرتـين، فليـس لهـما أي ذنـب، ودمـوع العجـوز وهـي لا تعـرف كيـف أنجبـت ذلـك الوحـش الـكاسر، كيـف حملـت في بطنهـا تسـعة أشـهركاملة سـفاحة لا تعـرف شيء عـن الإنسـانية والرحمـة، وبعدهـا أرضعتهـا عامـين كاملـين، هـي لم تكـن يومـا قاسـية فلـم ترضعهـا القسـوة مـن صدرهـا أبـدا، في تلـك اللحظـة فقـط تمنـت أن تكـون كتمـت أنفاسـها وخنقتهـا يـوم معرفتهـا بأنهـا أنثـى، يـا ليتهـا قتلتهـا يومهـا وكتمـت أنفاسـها لمنعـت كل ذلـك الـشر أن يخـرج للعـالم.

أغلقـو البـاب خلفهـم وكان ابنهـا يحـاول كتـم نزيـف يديـه بعـد قطـع كفـه، والشرطـي يفعـل مثلـه، اتصـل أدهـم بسـيارة الإسـعاف وكانـوا يسـمعون صرخـات الطفلتـين الصغيرتـين وصـوت أشـياء تتحطـم بصـوت عـال، وبعـد دقائـق هـدأ كل شيء تمامـا وكفـت صرخـات الصغـار، وسـمعوا صـوت المذيـاع عـالي، وصـوت أم كلثـوم القـوي يـردد بقـوة:

فات الميعاد...

وبقينا بعاد بعاد..

والنار، النار، النار..

النار بقت دخان ورماد..

فات، فات الميعاد..

وبقينا بعاد بعاد...

والنار، النار، النار بقت..

النار بقت دخان ورماد

فات، فات الميعاد...

وهنـا تعالـت أنفاسـهم وشـعروا بالخـوف ونظـروا جميعـا إلى بـاب الغرفـة المغلـق متوقعـين أن يـروا جثـث الأطفـال والطبيـب ممزقـة شر تمزيقـة، وكانـوا يشـعرون بالنـدم لمـا فعلـوا، فيـا ليتهـم لم يأتـوا لمنـزل الرجـل ولم يخبرهـا بأنـه هـو المقصـود، دمـوع كانـت تتسـاقط صامتـة وقلـوب كانـت ترتجـف واجفـة، وعيـون يملؤهـا النـدم والحـسرة، وأقـدام ترتجـف وهـي تقـف عـلى الأرض الصامـدة، ولكنـه القـدر، ومـن منـا يهرب مـن قـدره ومـا كتبـه اللـه لـه مـن مصـير في تلـك الدنيـا، لقـد كان مصير الرجـل المـوت وربمـا اللـه رحيـم بـه، إن مـات مـع بناتـه ولم يتركهـما للدنيـا وغدرهـا وذلهـا، لا يهـم كيـف ماتـا، فالمـوت بالنهايـة واحـد، ولكـن المهـم بـأن الأرواح غـادرت سـويا مـع مـن تحـب، كان كل منهـم يشـعر بتأنيـب الضمـير، نعـم لقـد مـات الطبيـب وأنقـذ العديـد مـن الأبريـاء ولكنهـم يشـعرون بالنـدم والحـسرة، فـما ذنـب تلـك الطفلتـان الصغيرتـان.

وهنـا اندفـع مـوسى كعادتـه المتسرعـة ليفتـح بـاب الغرفـة لـيرى مـاذا فعلـت المدرعـة بالطبيـب وبناتـه، وهنـا وجـد الطبيـب يجلـس عـلى الأرض يحتضـن بناتـه، وإحـدى الطفلتـين تقلـب في صفحـات المجلـة

وتشاهد صور الفتيات، والأب يحتضنهما ودموعه تتساقط وبجوارهم الثوب الوردي لإنصاف ملقى على الأرض، يبدو أن الروح قد تركته.

ابتسم أبو المكارم عند رؤيته للطبيب وبناته على قيد الحياة، فيبدو أن روح المدرعة قررت أن تعفو عن الرجل من أجل بناته الصغار وترحل تاركة الأرض والرجال يعيشون بسلام بلا قتل وتمزيق للجثث.

وكان المذياع الصغير يردد صوت كوكب الشرق أم كلثوم بصوتها الرائع وهي تقول بصوتها القوي مقطع:

وكفاية بقى تعذيب وشقى..

كفاية بقى تعذيب وشقى..

ودموع في فراق ودموع في لقى.

تمت بحمد الله..

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

ن للنشر والتوزيع

noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007